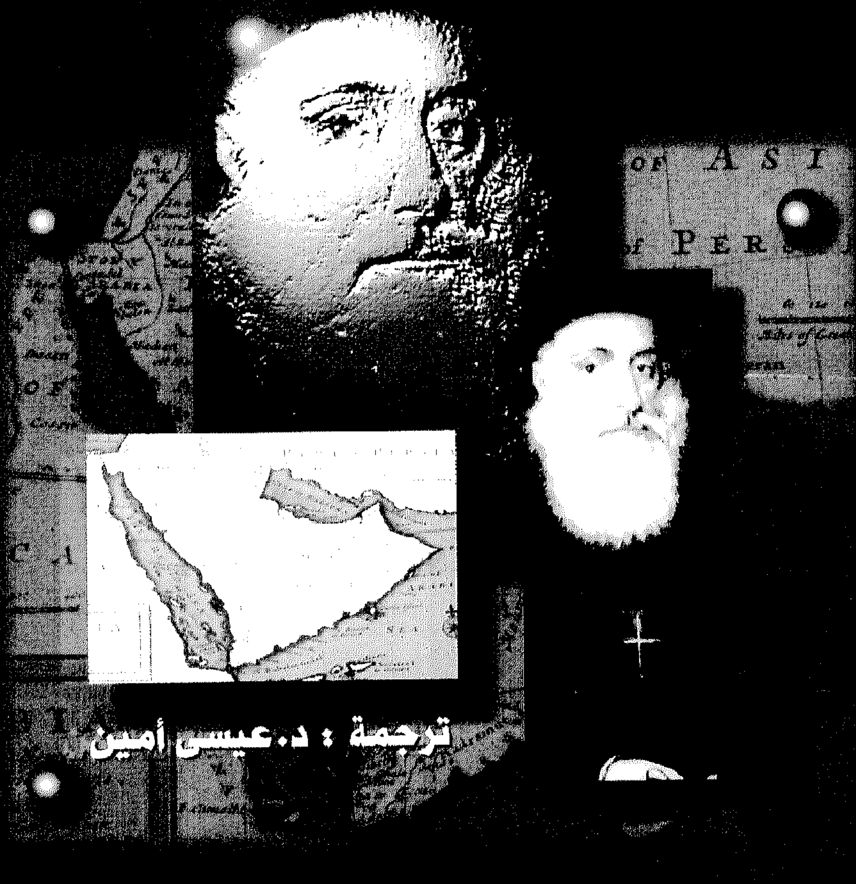
السلسلة التاريخية

الموسوعة البرتغالية

تاريخ الخليج والبحر الاحمر

في أسفار بيدرو تيخسيرا



ترجمة : د.عيسى أمين

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

تاريخ الخليج والبحر الأحمر

في اسفار بيدرو تخسيرا

ترجمه عن الانجليزية دكتور/ عيسى امين

من اصدارات:
مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

الاهـداء

الى عشاق التاريخ ومحبي المعرفة
اقدم هذا الكتاب

تاريخ الخليج والبحر الاحمر
في اسفار بيدرو تخسيرا
ترجمه عن الانجليزية دكتور/ عيسى أمين

حـبا في مـعرفـة تاريخ الخليج، ورغـبة في دراسـة اصول التـدخل الاجنبي واسبابه، اقدم هذه الترجمة لكتاب نادر آمل ان ينال اعجاب قراء اللغة العربية.

د. عيسى أمين

1995/12/3

الفصل الأول

بيدرو تخسيرا

بيدرو تخسيرا

نحن لا نعلم الكثير عن بيدرو تخسيرا بقدر ما يذكره هو عن نفسه في كتـابه. ولقد جـاء ذكره في مـقدمة الـدكتور ام. كـايسلرلنج (Dr M. Kayserling) لكتاب اى. جى بـنجامين (I. J. Benjamin) (ثماني سنوات في اسـيا وافـريقـيا) طـبعـة هانوفـر 1863 قائلا «أن بيـدرو تخسيرا يهودي من البرتغال ومن اليهود الذين لم يجرؤوا بالافصاح عن ديانتـهم او تعليم ابنائهم ديانة الآباء، ورغم انه ولـد لعائلة يهـودية في لشبونة الا ان تعليمه لم يكن له صلة بالعقيدة».

ولذلك فـانه يبدو لنا وكـأنه لم يكن يتحـمل الوازع الذى يفرض علـيه التسليم الكامل للخـالق (والمغروز فيه بالفطرة) الامـر الذى سوف نرى ملامحه في كل صفحة تقريبـا من كتاب اسفاره.. ورغم ذلك نحن نعتقد ومن خـلال ملخص اسـفاره بأنه ولفـتـرة طويلة سابـقة لوصـوله الى (انتورب) كـان بيدرو ملتزمـا بالعقيـدة المسيـحية وانه كـان كاثوليكي ملتزم - رغم وجود كتابات اخرى تنفي ذلك.

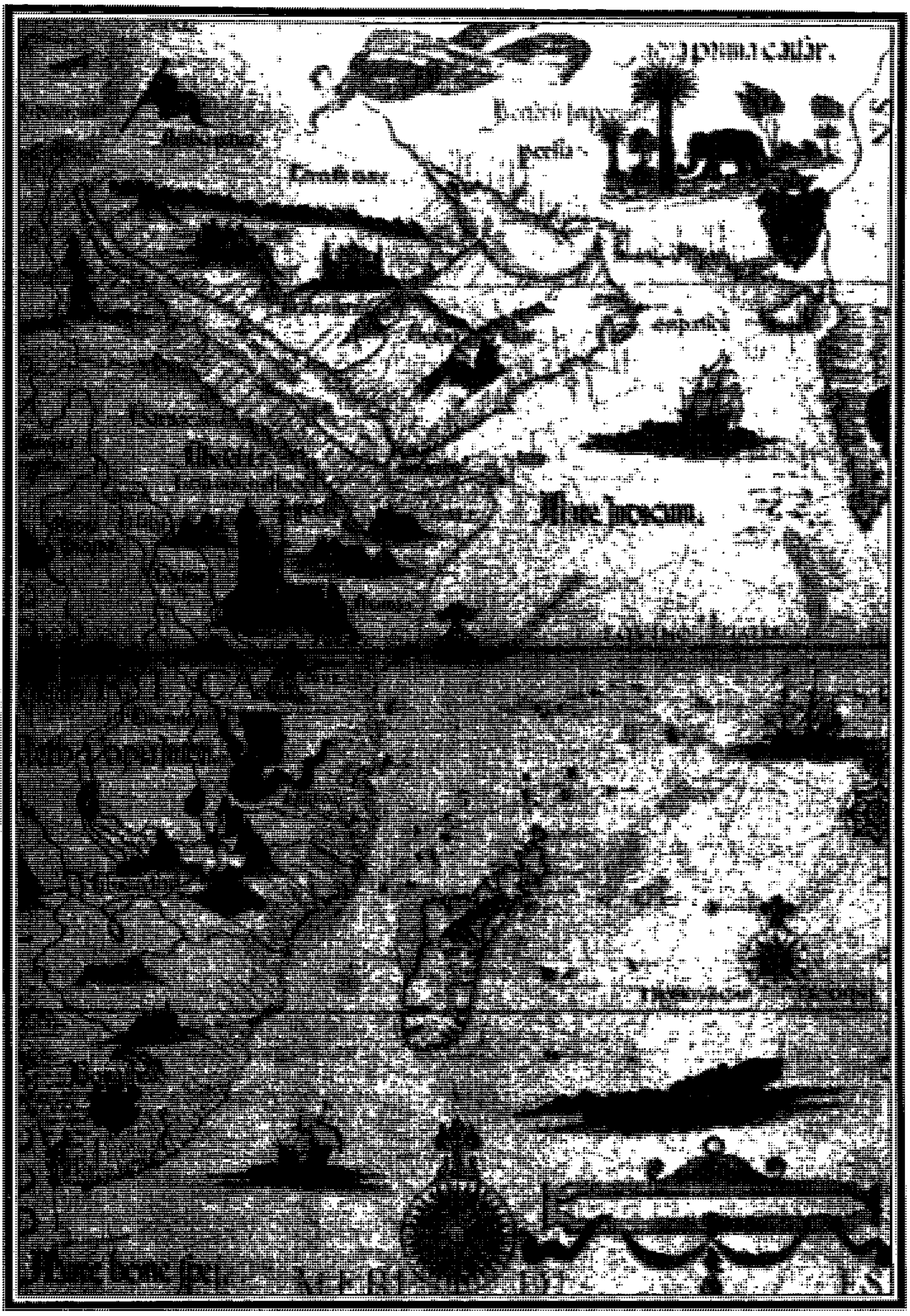
ويبدو ان نصيبنا في معـرفة اي شىء عن عائلته سوف يكون اقل من معرفتنا له شـخصيا حيث انه كان يفضل كتمـان الامر مع تصريح عابر بأنه كان عاشقا للتاريخ في يفعه.

وبما اننا قد سلمنا منذ البداية بجهلنا لهذه الشخصية فاننا نستطيع ان نقول الآن اننا ايضـا نجهل مهنته او حـتى نشأته العملية وبداية حـياته، مع احتمـال بسيط في انه ربما كان طبيبـا او له صلة بالعقاقيـر النباتية وذلك وكمـا يذكر هو عن التداوى بـالاعشاب ومنافـعها في كـتابه اثناء رحلاته في الشرق.

ونظرا لعــدم ذكره الاســباب الرئيــســية لســفره الى الشــرق (الهند) ووصــوله اليهــا في عــام 1587 مع احــدى سفن الاسطول الــبرتغــالي (قادما من البرتغال في عام 1586)، فاننا اصبحنا نعتقد ان رواية كوتو (couto) في كتابه ديكادا ديسميا (Decada Decima) تكاد تبين لنا هذه الاســباب حيــث يقول «لقــد بُلغ الملك ان بريطانيا تجــهز اسطولــها للتوجه الى جــهة غير مــعروفة حتى الآن – ولكن وخــوفا من اتجاه هذا الاسطول الى الهند او مناطق قريبــة في ملقه (Malaca) فانه اي الملك يود ان يرسل رسالة عــاجلة الى القبطان المسئول عن القلعــة هناك بأخذ الحيطة وان يُــبلغ نائب الملك في الهند عن الاستــعداد لمســاعده الاول في وقت حــاجــته. لذا اصــدر الملك اوامــره الى ســفن الاسطول (الغــلايين) وخــاصة الســفــينة (ريس ماغــوس) (Reys Magos) بالاســتعــداد للتوجه الى ملقا.

وتم تعيين القبطان جو كاكو. دى. اندرادى (Joao Gago de Andrade) الرجل الذى سبق له زيارة الهند سابقا قائدا لهذا الاسطول.

ابحر القــبطان المذكور من البــرتغال في 5 يناير 1586 وقــد امر الملك (استيفان دافيجا Estevao da Veiga) المرسل من قبل الملك الى الهند لتســليم الرسالة الى نائبــه (نائب الملك) د. دوارتى (D. Duarte) في الهند ورسالة اخرى الى القــبطان في قلعة موزمبــيق والذى اخبره الملك فيهــا باعداد السفن لترافق استيــفان دافيجا وارســالها الى الهند للغاية المطلوبة... اما باقي ســفن الاسطول فقد توجهت من البــرتغال الى الهند في مارس بقيادة القبطــان دى – جورنيمو – كوتينو (D. Jeronymo



خريطة لسواحل شرق أفريقيا وقد رسمها رسام الخرائط المرافق لاسطول فاسكو ديجاما عام 1497م.

(Coutinho في السـفـينة القـديس تومـا (S. Thom'e) ويرافـقـه القباطنة انتونيو جوميس (Antonio - Gomes) في السفينة كرنجه (Caranja) ومـعه مـانويل ديسـوزا كـوتينو (Manoel desousa coutinho) والذى قلد الاوسـمة (في السـابق) لقيـادته حامـية ملقـه ورحلته الى اليابان وزواجه من ابنة رجل مسـيحي ذي ثروة وترشيحه لمركز نائب الملك في الهند بعد وفاة (دي. دوارتى).

اما السفن الاخرى فكانت السفينة سلفادور (Salvadour) وقبطانها ميـجويل. دى. ابرو (Miguel De Abreu) والسفـينة ريليـجوياس (Religuias) وقبطانهـا فرنسـيسكو. كافـاليرو -Francisco Ca) valleiro) والقديس فيليب (S. Filippe) وقبطانها جو. توجير يوس (Joao Trigueiros). ولقد اخذت كل هذه السـفن الحيطة والحذر في ابحارهـا خوفا من مـواجهـة مع الاسطول الانجليزي – ولو فـرضنا ان بيدرو تخسيرا كان على ظهـر احدى هذه السفن فانه يكون قد وصل الى جوا في الهند في سبتمبر 1586.

ولكن يبدو مرة اخرى ان تخسيرا لم يهتم بوصف ما رآه في جوا مثل ما فعل قبله الهـولندي جان هيوخن (Jan Huyghen) والذى ترك لنا وصفا مصورا للمدينة التى سكنها لعدة سنوات قبل وصول تخسيرا.

ولكن نستطيع من خـلال قراءة التاريخ ان نجزم ان وصول تخـسيرا الى جوا تزامن مع استعدادات بحرية اخرى من قبل البرتغاليين للانتقام من الاتراك وحكام سواحل شمال غرب افـريقيا والذين هزموا الاسطول البرتغـالي (في البحر الاحمـر في شـهر مايو 1586) تحت قـيادة روى

قـونسالـفس داكامـارا (Ruy Gonsalves Dacamara) واسروا الكثير من بحارته.

انتـهز تخـسيرا قـرار نائب الملك (فى ارســال اسطول تأديبى للبـحر الاحمر والخليج والذى كـانت مسئوليتــه الاولى الابحار الى هرمز ومن ثم الى مسقط لبناء قلعة فيها لردع الاسطول العـثماني) وابحر تخسيرا مع هذا الاسطول.

في 9 يناير 1587 (وتحت قـيادة القبطـان مارتيم الفونـسو ديملو) (Martim Alffonso demello) تبحر اثنتان من الغلايين البرتغالية ترافـقها ست عشرة سفينة اخرى بجنودها وبيـدرو تخسيرا بعد حصوله على تصريح خاص لمرافقة الاسطول المتجه إلى مسقط.

وبعـد عـدة ايـام كـان اول مكان وصل اليـه الاسطـول في السـاحل الافريقي هو امبازا (Ampaza) فقُتل ملكها ومساعديه واحرقت المدينة بعدها توجه الاسطول الى باتي (Pate) حيث طلب الحاكم فيـها الرحمة والمغفرة من البرتغـاليين وثم الى جزيرة لامو Lamo حيث سبق لملكها ان قام بتسليـم روكو. دي. بريتو (Reque de Brito) ومرافقـيه الى الاسطول العثماني.

هرب ملك لامو قبل وصول الاسطول تاركا زوجتـه فقام البرتغاليون بتنصيـبها ملكة على الجـزيرة انتقاما من زوجـها – وواصل الاسطول ابحاره الى مالندي (Malindi) والتي قام ملكها باستـقبال البرتغاليين استقبالا عظيما ورافقهم الى مومباسا – (Mombasa).

دخل البحـارة البرتغاليون مـومباسا بعـد استسلام ملكهـا وسقوط



القلعة البرتغالية في مومباسا

قلاعـها وحصونهـا فأحرقوها بعـد ان خرج منها الملك ورعـاياه بعد ان طلب من البرتغاليين الصفح عنه، ومـساعدته في عودته الى ملكه، ورغم وساطة ملـك مالندي لم يوافق مارتـيم الفونسو على ذلـك وغادرها هو واسطوله الى الخليج مـا عدى سـفينة واحـدة ارسلت الى نائب الملك في الهند حاملة رأس ملك امبازا المشوه.

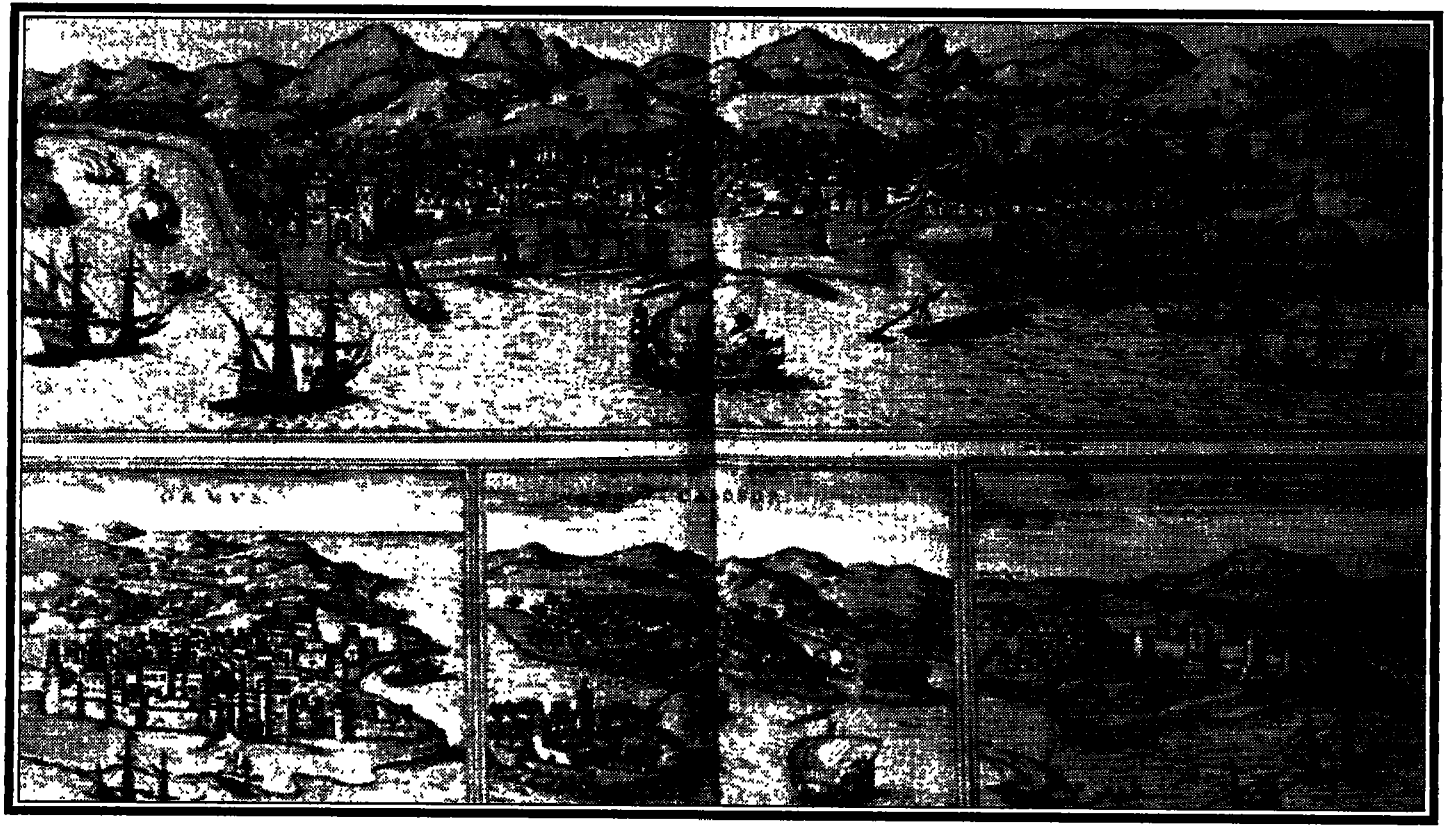
تزامن مغادرة السـفن البرتغالية مع وصول السـفينة سلفادور والتى كانت قـد ابحرت من كـوشين (cochin في الهند في نهاية 1586) في طريقهـا الى اوروبا محملـة بالتوابل وكانت قـد صادفتـها عاصـفة في الطريق قرر قبطانها بعد الخلل الذى اصـاب سفينته الالتحاق بالاسطول البرتغالي في البـحر الاحمر فتم قطرها الى هرمـز حيث حُطمت بعد نقل البضائع منها الى سفن اخرى.

تزود الاسطول البـرتغالي وهو في طريقـه الى هرمز بالمواد الغـذائية من مالندي وبالماء في سوقطره وليوا (Teive) في جنوب مسقط.

ويذكـر تخـسـيـرا لنا ان في زيارته لمـسقـط شاهـد الكم الهـائل من الاسماك فيها وتعجب من طرق صيدها – بواسطة البحارة العمانيين.

يصل الاسطول بعـدها الى هرمز لـيواصل رحلتـه بعد عـدة ايام الى جـزيرة قـشم ولكـن يضطر الى العـودة وذلك لمرض الـقـائد مـارتيم. الفونسو الذى توفى بعد عودته الى هرمز ودفن فيها.

في سبتمبر 1587 يغادر الاسطول البـرتغالي هرمز متوجها الى جوا تحت قيادة والد زوجة مارتيم الفونسو (سيماو. دى. كوستا) (Simao da costa) ليصل الى جوا في اكتوبر من نفس العام.



رسم برتغالي (1400م) يبين قليقوط في أعلى الصورة وهرمز وكاناقور وملقا

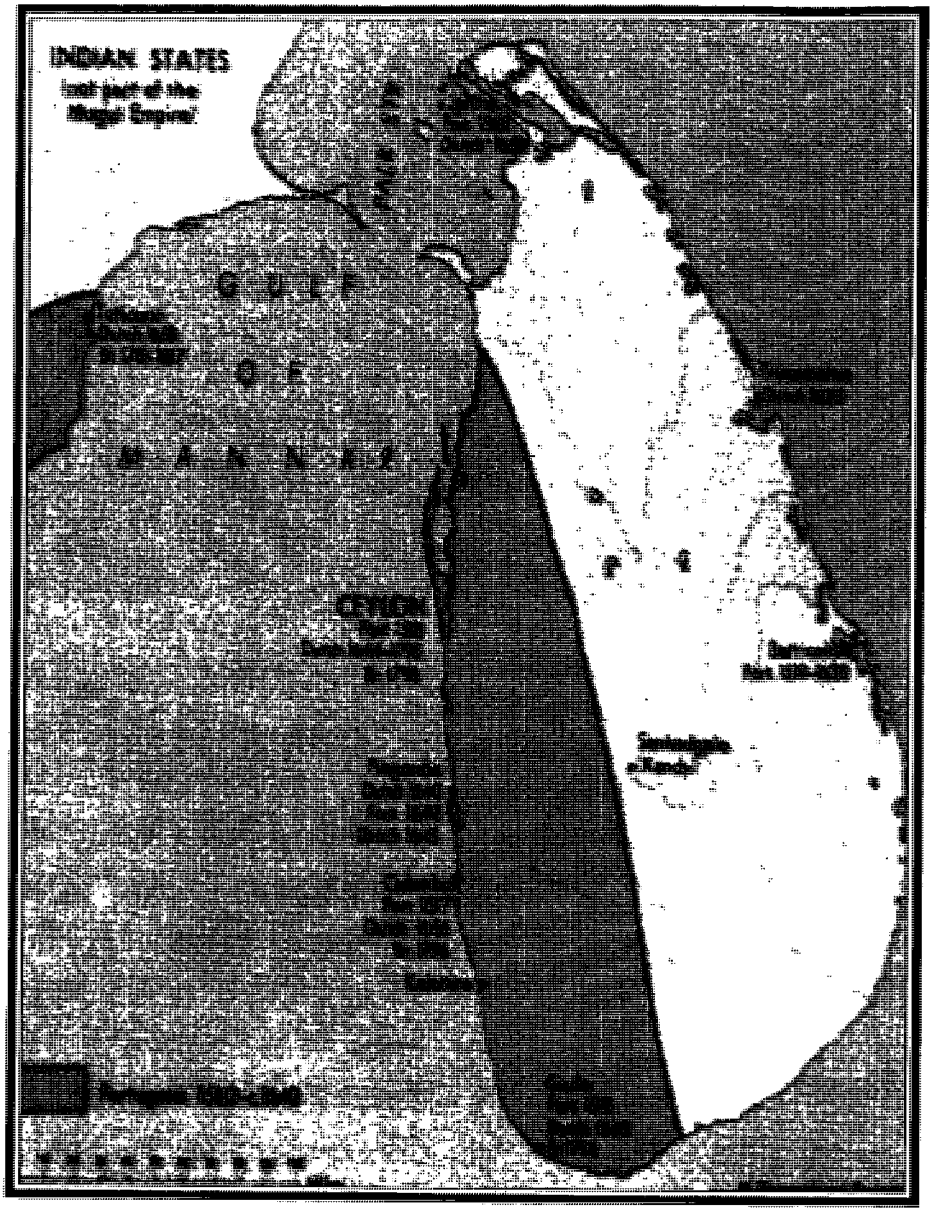
ورغم ان تخسيرا كان مـرافقا لهذا الاسطول منذ بداية الرحلة من جوا نجد ان الوصف الوحـيد الذى يتـركه لنا هو عن مدينـة مسقط فـقط اما المناطق الباقية فلم تذكر بتاتا.

لقد كان الوجود البرتغالي آنذاك يمتـد الى بحر الصين ويتمتع بمراكز عسكـرية تجارية مـهمة انشـئت لثلاث مـهمـات الاولى منها عـسكرية والثانية تجارية والثالثة وفي بعض المناطق فقط ادارية تدير امور البلاد الواقعة فيـها ولقد كانت ملقا احد المـراكز الاستراتيجية المهـمة في بحر الصين والتـى دخلهـا الملـك راجـال (Ragale) ملك جـوهور Johor ودمـرها في بداية عـام 1587. بعـدها اغلق المسـارات المائيـة بين الهند والصين في مضيق ملقا الامر الذى ادى الى المجـاعة والتشـرد الى جانب الدمار السابق.

في مارس 1587 دعي نائب الملك الى اجـتماع المجلس الاعلى للادارة في جوا وفـرض الضرائب علـى مواطني جوا، وبـاسين وشول (Goa, Bassein,Chaul) لمساعدة المدينة المنكوبة.

وفي 28 ابريل 1587 يتـوجه الاسطول الـبرتغـالي (المكون من ست عشـرة سفـينة من الغـلايين والسفن الاخـرى وبكامل عتـاده وجنوده الخمسـمائة وتحت قيادة د. باولـو دي ليما (D. Paulo. de Lima) ويصل الى مدينة جوهور ويحرقها ويدمرها تدميرا كاملا.

لقد كـان الاسطول البرتغالي موزعـا آنذاك بين هرمز وشرق افريقـيا وجوا وتدعمه حاميات عسكرية يتحول بواسطتها الى اسطول حربي في وقت الحاجة ويباشر مهمات التجارة في اغلب الاوقات.



جزيرة سيلان 1580م ومناطق النفوذ البرتغالي فيها

ولقد باشـر البرتغاليـون بسياسـة الارض المحروقة والقـتل والتنكيل والاضطهـاد اينما وصلوا في الشـرق وطبقت هذه السـياسة فـي هرمز ومسـقط وعدن وشـرق افريقـيا والبـحرين وجـوا وملقا وفي سـيلان (كولمبو) عندما ثار عدوهم الاول كمـا يطلقون عليه (راجاسينا) (Raja sinha) ضد الوجود البرتغالي فيها وكانت هذه الثورة من اخطر التهديدات التى واجـهها البرتغالـيون في الشرق حيث اقتـضى القضاء عليها مشاركة كل الاساطيل البرتغالية في الشرق.

ويروي لنا المتـرجم عن هذا العصيـان وبدايته في عـام 1586 عندما حـاصر (راجـا) قعلة كـولمبـو ومنع عنها المـؤونة فاضطرت الحـاميـة المتمركزة في هذه القلعة الى طلب المساعدة من الهند.

ونظرا لعدم وجـود سفن الاسطول المطلوبة آنذاك تأخـر وصـول المدد البحرى حتى سبتمبر 1587 وذلك بعد الحاح من قائد حامية كولمبو جو. كوريا. دي. برتو (Joao Correa De Brito)، وفي نفس الشـهـر قرر نائب الملك (دوم. دوارتى) ومـجلسـه الحـاكم في غـوا ارسـال اسطول ضـخم الى كولمبو على ان يلتحق به اسطول (د. باولو دليما) (D. Paulo de Lima) والذى تم ابلاغه بالتوجه الفورى الى سيلان واختير لقيـادة سفن الاسطول المشتـركة القبطـان (مانويل ديسوزا كـوتينهو) (Monoel De Sausa Coutinho) والذى لقب بقـبطان بحـر الهند (واعطى رتبـة جنرال) ومع اسـتعـدادات غوا لارسـال اسطولهـا يصل اسطول هرمـز والخاص بألفـونسو ديملو بقـيادة سـيمـا دي كوسـتا (Sima da Cost) يرافقه رحالتنا بيدرو تخسيرا والذى انتهز فرصة

توجه مانويل ديسوزا الى سيلان فالتحق به بعد حصوله على تصريح خاص لذلك من نائب الملك.

في 4 فبراير 1588 يتوجه الاسطول البرتغالي من غوا الى سيلان وفي مقدمته الغلايين البرتغالية تحت قيادة مانويل ديسوزا ودي جورنيمو دى ازفيدو (D. Jeronymo De Azevedo) ومعها ست عشرة سفينة اخرى وستمئة رجل ليصل الى جزيرة رامسفرام (Ramesvaram) ومنها الى جزيرة منار Mannar وثم في النهاية الى كاريتيفو (Karaittivu).

ومن الموقع الاخير ارسلت الرسائل لقائد حامية كولمبو تطلب فيه ارسال ضابطين برتغاليين وجنود محليين الى القبطان مانويل ديسوزا والذى كان قد قرر حرق وتدمير المنطقة الواقعة بين كاريتيفو وكولمبو.

وصلت المجموعة المطلوبة بقيادتها البرتغالية الى الموقع المعين بعد ان دمرت كل القرى في طريقها وتم ابلاغ مانويل ديسوزا عن التحصينات الاهلية لمدينة كولمبو وبلدة شيلاو (Chilaw).

بعد وصول هذه الاخبار قرر مانويل ديسوزا التوجه الى بلدة شيلاو والتى وصلها بعد وصول دي جورنيمو دى ازفيدو اليها وقام بتدميرها وسلبها ثم حرقها - فتابع مانويل ديسوزا ابحاره الى كولمبو في 18 فبراير مطلقا مدافع سفنه الحربية ابتهاجا بالنصر ورفع الحصار عنها.

بعد دخول القوات البرتغالية الى كولمبو ولقائها مع الجنود والمحاصرين في قلعتها عقد مجلس الحرب اجتماعه الأول لتخطيط الاعمال الحربية المطلوبة ضد (راجا).

في هذا الاجتماع كان مانويل ديسوزا مصرا على الهجوم المباشر رغبة منه في الحصول على الثناء والشهرة قبل وصول اسطول (دى باولو دي ليما) المنافس له في الحصول على الشهرة.

ومع انعقاد هذا المجلس ارسل راجا سفراءه الى القادة البرتغاليين طالبا منهم مهلة زمنية حتى يتمكن من القيام بالشعائر الدينية في مدينته وعاصمته سيتافاكا Sitavaka واعتقد اعضاء المجلس بأنها خدعة وتمهيد للانسحاب لذا تقرر الهجوم الفورى فى ليلة 21 فبراير ودمرت القوات البرتغالية تحصينات الملك راجا وقتلت رجاله وأحرقت قراه - في اليوم التالي يصل اسطول دى باولو دي ليما الى كولمبو ويشارك في اعمال التدمير والتى استمرت الى بداية مارس 1588 عندما غادرت الاساطيل كولمبو عائدة الى جوا.

ورغم الاحداث الجسيمة والتى يتحاشى بيدرو تخسيرا ذكرها نجده يذكر رحلة العودة الى جوا فقط، وينقلها لنا كوتو عن الرحالة تخسيرا قائلا «عاد مانويل ديسوزا في اسطول صغير الى كوشين وغادرها بعد ان ترك وراءه سفينة كبيرة بقيادة دي جورنيمو ومعه اثنتان من السفن الصغيرة وذلك من اجل لقاء سفن الاسطول العائدة من الصين وقيادتها الى جوا.

انتهز بيدرو تخسيرا فترة بقائه في كوشين ليقوم بزيارة قلاع كنارا وكننور (Canara, cananor).

في نهاية مارس يصل مانويل ديسوزا الى جوا ويدخلها دخول الابطال حيث كان في استقباله نائب الملك ومواطنو المدينة.

بعدها بأيام يصل دى باولو دي ليما ويقوم نائب الملك ورعاياه باستقباله استقبالا اعظم من سابقه.

في 4 مـايو 1588 توفى دى. دوارتي. دى منـزيس (نائب الملك) وتم دفنه في احتفال مهيب في كنيسة ريس ماجوس (Reys Magos) وتم نقل عظامـه بعـد ذلك الى أبرشيـه (الثـالوت المقـدس). في سانتـاريم (Santarem).

وبعد موت نائب الملك فتحت الوثيقة الخاصة بتولي السلطة والتى ذُكر فيها ان الحاكم القادم يجب ان يـكون ماثياس دى البوكيرك (Mathias De Albuquerque) (على ان يحكم الهند حتى فترة وصوله مانويل ديسوزا والذى عين حاكما في احتفال رسمي).

بعـد عودة بيـدرو تخـسيـرا من كوشين يبـدو انه بقى في جـوا سنة 1588 ولكن كعادته السابقة نجد انه وجد لنفسـه سبباً آخر للسفر مرة ثانية، فقـد تواردت انباء عن نية القائد البحـري التركي علي بيه (والذى هاجم المواقع البرتغالية في شرق افريقيا في عام 1586) في هجوم آخر يتم الاستعداد له ومتوقع حدوثه في نهاية 1588 او بداية 1589.

وكما توقعت السلطات البرتغالية في جوا توجه القائد البحري التركي علي بيـه الى الصومـال وتوقف في مـقديشـو حيث اسـتقـبله الاهالي استـقبالا رائعا واتجـه منها جنوبا وزودته اهالي المدن السـاحلية بالمال والزاد ليصل الى مالندى ليـلا حيث كان القائد البرتغالي فيـها (ماثياس منديس دى فـاسكوسـنيلوس -Matheus Mendes Devascon cellos) على علم بتقدم الاسطول التركي (والذى كانت بعض سفنه قد صودرت في هجوم سـابق على الساحل الافريقي من البـرتغاليين). قام القائد البرتغالي بنصب بعض المدافع على التلال الرملية خارج القلعة.

وادى قصـفها لسـفن الاتراك انسحاب الاخـيرة وتوجـه علي بيه الى مومباسا لاقامة قلاع تحصينية فيها.

في 30 يناير 1589 تبحر سفن الاسطول البرتغـالي من غوا متوجهة الى شرق افريقيا بعد وصول انباء عن دخول الاسطول التركي في المياه المذكورة.

وكما كان الاستعداد البرتغالي كبـيرا للحملة المتوجهة الى سيلان فإن الاسطول المتوجه الى شرق افريقيا (وبقيادة اخ مارتيم الفونسو)، توما ديسوزا كوتينو (Thoma de sousa) كبير ايضا حيث شمل عشرين سفينة كبيرة وصغيرة وتسعمائة من الرجال المسلحين.

واجه هذا الاسطول عواصف قوية ادت الـى فقدان ثلاث من سفنه مع وصول السفن الباقية الى برافا (Brava) في 20 فبراير حيث نقلت الى قائده اخـبار علي بيه فـتوجه في 23 مـن نفس الشهر الى امـبازا والى قلعتـها وقابل امـيرها الموالى للبرتغـاليين ومنها الى جزيرة لامـو حيث تلقى اخبارا عن مغادرة علي بيه من مالندي الى مومباسا.

في 3 مارس يصل الاسـطول البرتغالي الى مـالندى محـاولا اللحاق بالاسطول التركي ومـنعه من الهرب من مـومباسـا. ويغادرها في يوم الاحد 5 مـارس متـوجهـا الى مومبـاسا ليـواجه مـقاومة بسـيطة من الاسطول التركي.

في 7 مارس يدخل البـرتغاليون مومبـاسا للمرة الثانيـة ومعهم ملك مالندى وامير بمبا ليجدوا ان الاتراك قد توغلوا في الغابات هرباً منهم.

وحيث انه لم يكن التخطيط التـركي جيدا فقد تمت محـاصرة علي بيه وبحـارته بواسطة الاسطول البـرتغـالي في البـحـر، وقـبائل الزمـبـا (Zimba) من اليـابسة وفتكـت القبائل المذكـورة بالجيش التـركى مما اضطر قائده وبقية الجنود بأن يتوجهـوا الى البحر مرة اخرى لتلتقطهم السفن البرتغالية.

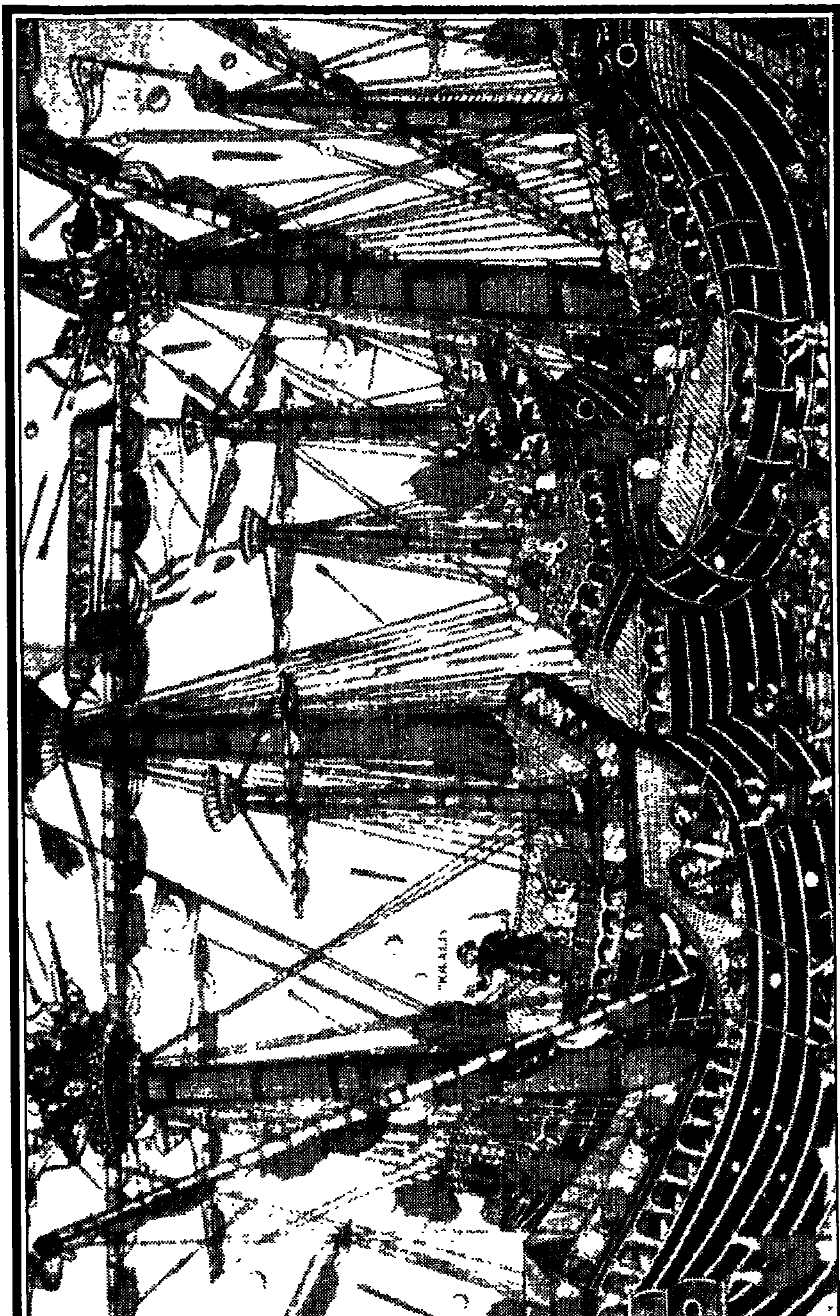
في الثاني والعـشرين من شـهر مارس غـادر توما ديسوزا ممبـاسا عـائدا الى مـالندي يرافقـه الجنود الاتراك وقـائدهم علي بيـه والسـفن التركية.

وقبل مغادرة البحر الاحمر قام هذا القائد البرتغالي باعتقال ملك لامو وقتله في باتى (Pate) ونصب مرة اخـرى ملك بمبا بعـد ثورة الاهالي عليه. واخذ وعـدا من امراء امبازا وملوك باتى وسيـو بالولاء لأسيادهم البرتغاليين والتاج البرتغالي.

في طريق عودته توقف توما. ديـسوزا في سوقطره في 28 من نفس الشهـر للتزود بالماء ثم توجه بعـدها الى جوا حيث وصلهـا في 16 مايو ودخلها في استقبال مهيب يرافقه علي بيه وبيدرو تخسيرا.

في هذه المرة يبـقى بيـدرو تخـسيـرا لمدة عـامين 1590 – 1591 في مدينة كوشين (Cochin) ويذكر لنا ان وباء الموت الصيني انتشـر فيها (الكوليرا الآسيوية).

في 15 مايو 1591 يصل نائب الملك الجـديد (ماثياس دى البـوكيرك) الى جوا عـلى ظهر السـفينة بوم جـيسس (Bom. Jesus) وذلك بعد سنة من مغادرته لشبونه. وقام مانويل ديـسوزا كوتينو بتسليمه سيف القيادة.



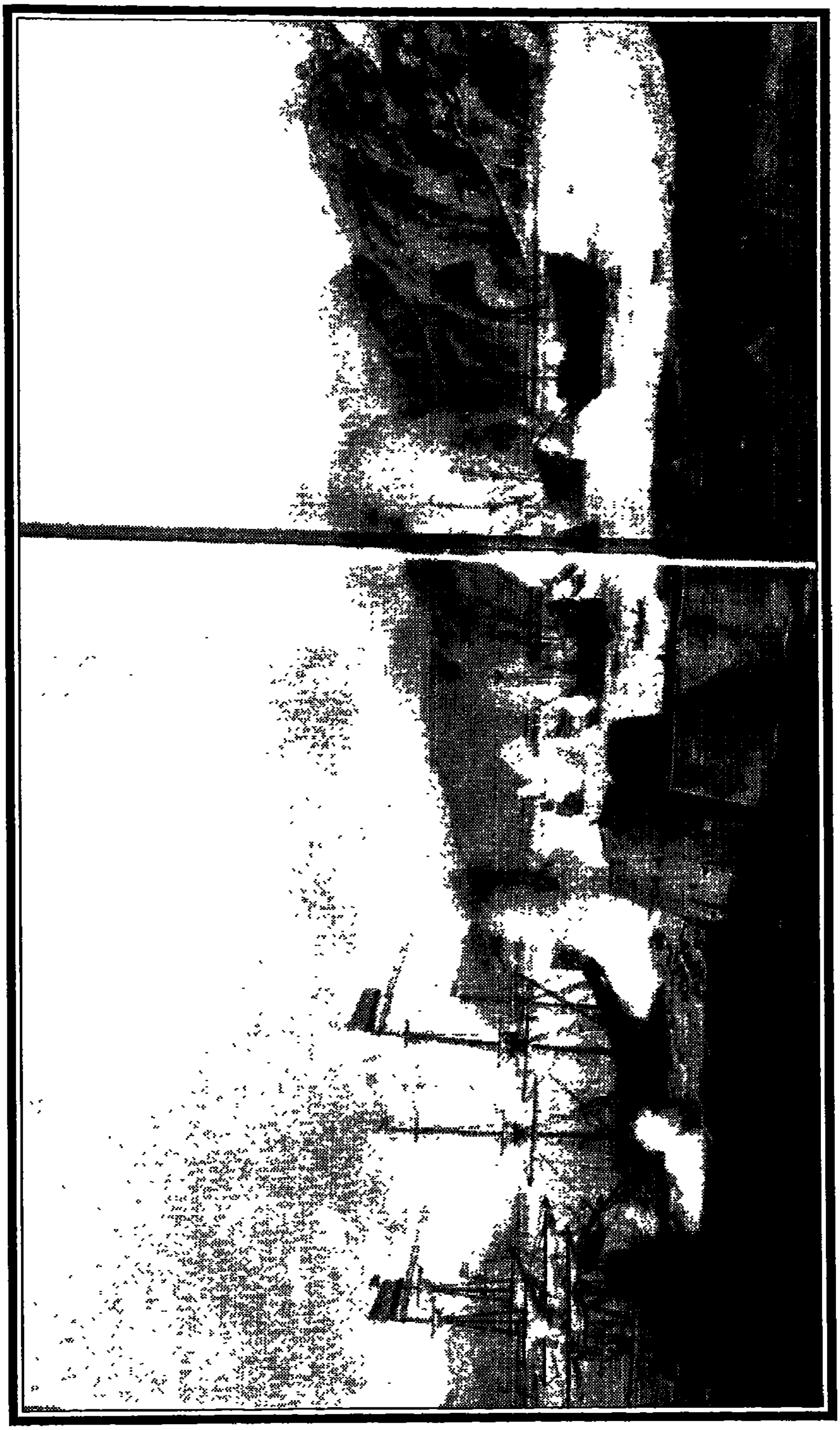
معركة بين الاسطول التركي والبرتغالي قرب سواحل شرق افريقيا

في العاشر من يناير 1592 تبحر نفس السفينة (التى جاءت بـ البوكيرك وعلى ظهرها الحاكم السابق مانويل ديسوزا وزوجته وكل امتعته الثمينة مع منقولات اخرى ذات اثمان باهظة) متجهة الى البرتغال ولكن وفي الطريق الى موزمبيق تحطمت واختفى من فيها وكل ما كانت تنقله الى الابد.

ولو عدنا الى مذكرات بيدرو تخسيرا نجد انه في عام 1593 عاد من الهند الى هرمز وبقى فيها حتى 1597 باذلا كل جهده في دراسة اللغة الفارسية وتاريخ فارس ومترجما بصورة ملخصة روايات ميرخواند وتوران شاه. ومقدما لنا صورة مفصلة من هرمز واحداثها ايام اقامته فيها.

يذكر المؤلف انه قام بزيارة مدينة مازاندران (شمال فارس) في عام 1597 وفي نفس العام رافق الاسطول مرة اخرى الى ملقا حيث طلب نائب الملك في الهند من الاساطيل البرتغالية مرة اخرى التوجه الى هناك استعدادا لهجوم وشيك من الهولنديين.

بعد وصوله الى ارخبيل الملايو قضى بيدرو تخسيرا كل وقته في الكتابة عن الحياة الفطرية وانواع النباتات فيها، وانطلاقا من هذا الفصل في رحلاته يبدأ في اعطائنا صوراً متواصلة وكتابات دقيقة عن تنقلاته ويذكر في اول فصل من (يوميات رحلتى) انه في ملقا ويرغب في العودة الى البرتغال عن طريق جزر الفلبين ولذا انتهز فرصة مغادرة السفينة المتوجهة من ملقا الى الفلبين (حاملة الرسائل من قائد ملقا البرتغالي الى القائد الاسباني في الفلبين يخبره فيها احتمال دخول



الاسطول الهولندي يهاجم السفن البرتغالية في جوا

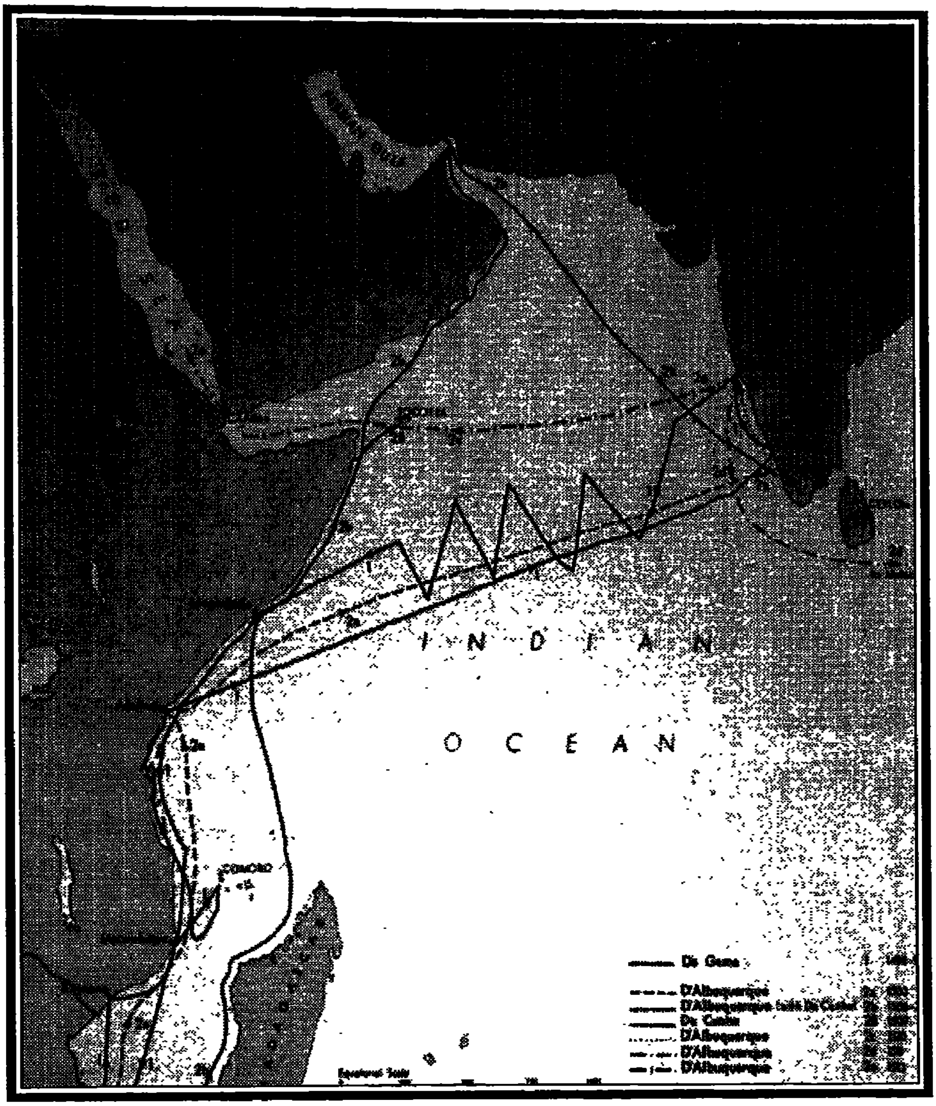
الاسطول الهولندي مياه المنطقة) يقول انه انتهز الفرصة وغادر ملقا الى الفلبين على ظهر هذه السفينة ويصل الى هناك في 22 يونيو الى ميناء مانيلا.

لم يستقر المقام برحالتنا في الفلبين فقد استطاع الحصول على تصريح من الحاكم الاسباني دوم فرنسيسكو تيلو دى منزيس (Dom francisco. Tello Demanzis) في 18 يوليو لمرافقة اربع سفن جديدة متوجهة الى امريكا.

وبعد قضاء فترة قصيرة في مضيق سان برناردينو (San Bor-nardino) توجهت السفن في اتجاه شمال شرقى لتصل الى اكابولكو (Acapulco) في اول ديسمبر، ومنها يدخل بيدرو تخسيرا وعلى ظهر الخيول الى مدينة المكسيك ويصل اليها في منتصف ليلة اعياد الميلاد – وذلك بعد ستة اشهر من مغادرته ملقا.

وبعدها يغادر في مايو 1601 متوجها الى البرتغال مارا بسان جوان وكوبا وبرمودا وسان لوكار ثم في النهاية من 8 اكتوبر 1601 الى لشبونة.

قبل مغادرة بيدرو تخسيرا ملقا اودع مبلغا ماليا لدى احد اصحابه طالبا منه ارساله له الى لشبونة بواسطة السفن البرتغالية ولكن ولخيبة امله لم يصل المبلغ المطلوب ولذا نجده ورغم عن عدم رغبته يقرر السفر الى الشرق مرة اخرى في 28 مايو 1603 وعلى ظهر احدى سفن الاسطول المتوجهة الى الهند بقيادة بيرو. فرتادو. دى. مندوكا (Pero. Fortado. de. Mendoca) ويصل الى جوا في 14 اكتوبر من نفس العام.



الطرق الملاحية للأساطيل البرتغالية

لقد نـال في رحلته هذه مـا اراد وقرر العودة بعـد خمـسة أشــهر عن طريق وادى الرافدين.

في 9 فبراير 1604 يستقل بيدرو تيخسيـرا سفينة برتغالية متوجهة الى الخليج تتوقف في اليوم الثاني من شهـر مارس في مصيره ومن ثم تبحر حول رأس الحـد الى خليج عمان وتتوقف مرة اخـرى في (سيفا) وبعدها تتوجه الى هرمز بعد التزود بالماء والخشب من مسقط.

وبعـد شهـر من وصـوله الى هرمـز (في 14 ابريل) يسـافر بيـدرو تيخسيرا الى البصرة في سفينة صـغيرة تابعة لقبطان هرمز البرتغالي مارا بالمضيق بـين جزيرة قشم واليابسه ومن ثم الى الـساحل الشرقي للخليج متجـها في اتجاه شمـال غربى متوقف بين فتـرة واخرى بسبب التيارات القوية.

كانت اول منطقـة ترسو فيـها السفـينة جزيرة لار (الشيخ شـعيب) والتقـى هناك بسفـينة اخرى قـد هوجمت بواسطة اهالي بندر نخـيلو. وبعد بضـعة ايام تتوجه السـفينة الى شيوه وتضطر للعـودة الى هرمز بسبب الرياح العاتيه. وفي 21 مـايو 1604.. في محاولة ثانية غادر في نفس السـفينة (والتى اتجـه ربانها هذه المرة في مـسار بحـرى جنوبى جزيرة قشم)، ولقدكانت هذه المحاولة ناجـحة حيث وصلت السفينة الى جزيرة خرج في 25 يوليو ومن هذه الجزيرة يتسلم قيادة السفينة ربان محلي وييحر بها الى شط العرب وبعد بعض الصعوبات تصل الى هناك في اول اغسطس من نفس العام.

يبدو ان السفـينة بقيت في شط العرب خمسة ايام حـيث توجهت بعد ذلك الى مدينة سراج (Serrage) حيث نقلت حمولتها الى البصرة.

وينتقل بيدرو من سراج الى البصرة عن طريق قناة مائية يرافقه تاجر فينيقي واثنان من البرتغاليين كانا معه منذ البداية في هرمز.

كان لهذا التاجر الفينيقي (السوري) منزلا في البصرة قضى فيه بيدرو عدة ايام قبل التحاقه بالقافلة المتوجهة عبر الصحراء العربية يرافقه دييجو. دي. ميلو (Diego de Melo) بعد حصوله على تصريح خاص بذلك. (هذا الصديق اصبح مصدر ازعاج اثناء رحلته) كان طريق القافلة المذكورة يمر بمشهد الامام علي ومن ثم مشهد الامام الحسين (كربلاء) (حيث تزوج فيها رئيس القافلة ودعى جميع مسافريه الى حفلة الزواج).

في 29 سبتمبر توجه اغلب المسافرين من التجار الى بغداد وبقى بيدرو ومرافقه دييجو. دي. ميلو في كربلاء لعدم توافر الجمال لاكمال الرحلة – وبعد عدة ايام عبرا نهر الفرات ووصلا بغداد في اليوم الرابع من اكتوبر.

في بغداد يسكن تخسيرا في منزل صديق من هامبورج كان قد تعرف عليه في الهند كان هذا الصديق يحاول بفعله هذا رد الجميل لبيدرو حيث كان الاخير قد احسن ضيافته في الهند.

وقد تزامن ذلك مع حصار حلب آنذاك لذا اضطر رحالتنا الى البقاء في بغداد لعدة شهور.

في 12 ديسمبر ينتقل بيدرو تخسيرا (وصديقه الالماني وديجو فرناندو وديجو ديملو) من بغداد عابرين الفرات مرة اخرى ليصل الجميع الى مدينة آنا!! ومنها في 13 يناير 1605 يغادر الجميع الى حلب

راكبين الجمال. بعد مسيرة ثمانية عشر يوما تصل القافلة الى قرية (سكانه) حيث يثير دييجو دوميلو اشكالات جديدة بسبب حماقته – ومن قرية سكانه تغادر القافلة في 9 فبراير فى طريقها الى حلب متعرضة اثناء السير لقطاع الطرق الذين لم يتمكنوا من بيدرو واصحابه.. بعدها تصل القافلة في 12 فبراير الى حلب..

يقضى بيدرو تخسيرا شهرين في حلب في انتظار السفينة التى سوف تقله من الاسكندرونه الى البندقية.

في الجزء الباقي من هذه الرحلة يلتحق اثنان من التجار الفينيقيين ببيدرو وصاحبه دوميلو متوجهين جميعا الى الاسكندرونة في 5 ابريل.

وبعد مسيرة ثلاثة ايام يصل الجميع مرة اخرى الى الاسكندرونة (المدينة الساحلية)، وفي الثانى عشر من ابريل يغادر بيدرو واصحابه الى البندقية تقلهم هذه المرة سفينة فينيقية.

وبعد توقف في (ساليناس) في قبرص وجزيرة زانتي تصل السفينة الى استريا في التاسع من يوليو ومنها ينتقل بيدرو وصديقيه في سفينة اخرى تتعرض للعواصف قبل وصولها الى البندقية في الحادي عشر من يوليو.

ويعلق بيدرو عن خبرته في هذه المدينة بانه «من المستحيل العمل في مكان مستحيل»، لذا يغادر بيدرو البندقية بعد زيارته لاغلب المقاطعات الايطالية والى مملكة بدمونت وجبال الألب وسافوي وفرنسا وهولندا الاسبانية مستقرا في انتورب ويعلق الدكتور كايسرلنج (Kayserling) عن استقرار بيدرو في انتورب «لقد كانت انتورب

اقدم مستعمرة هولندية للمنفيين من الاسبان / البرتغاليين وفيها استقر بيدرو تخسيرا ليبدأ طباعة كتابه - اصول وسلالات ملوك هرمز - ويكتب الاسفار من الهند الى ايطاليا - ونعتقد انه توفى (هنا وليس في فيرونا) في اواسط القرن السابع عشر باقيا على يهوديته منتقلاً مع ابائه الى عالم آخر احسن من عالمنا». لا نستطيع تأكيد هذه المعلومات المقدمة من الدكتور كايسرلنج حيث لا توجد لها مصادر موثقة حتى الآن.

الفصل الثاني

وصول الانجليز والهولنديين الى الشرق

وصول الانجليز
والهولنديين الى الشرق

كانت السنوات التى قضاها بيدرو تخسيرا في رحلاته الشرقية (1586-1605) من اهم السنوات في تاريخ البرتغاليين في الشرق - ففي عام 1580 نودى بالملك فيليب الثاني (ملك الاسبان) ملكا على البرتغال ايضا وبهذا دخلت البرتغال فيما اطلق عليه - ستون سنة من السجن - والتى ادت الى فقدان البرتغال لكل مواقع نفوذها في الشرق تقريبا.

هناك حدث اخر وعلى نفس المستوى من الاهمية طغى على تاريخ الاساطيل الأوروبية وهو عودة القائد البحري دريك (Drake) من جولة حول العالم ودخوله بريطانيا دخول الابطال فلقد كانت نتائج جولة دريك مؤشرا لحروب دبلوماسية انتهت بصراع بحرى مرير بين اسبانيا وبريطانيا.

قبل عودة دريك الى بريطانيا كان جون نيوبرى John Newbery قد توجه الى طرابلس في سوريا (في 19 سبتمبر 1580) ومنها الى وادي الفرات ثم فارس وهرمز وعاد من فارس الى ارمينيا والقسطنطينية واوروبا ليصل في النهاية الى لندن في اغسطس 1582.

في بداية 1583 توجه نيوبري مرة اخرى وفي نفس الطريق الى طرابلس يرافقه هذه المرة رالف فتش (Ralph Fitch) ووليام ليدز (William Leedes) وجيمس ستورى (James Story).

وبعد مرورهم بنفس المناطق التى مر بها نيوبرى يصل الانجليز الاربعة الى مملكة هرمز في 5 سبتمبر 1583.



الملك فيليب ملك أسبانيا والبرتغال

اثار وصول الاربعة قائد هرمز (ماثياس البوكيرك) فأمر باعتقالهم اعتقادا منه بانهم جواسيس لدوم انتونيو (Dom Antonio) المطالب بعرش البرتغال انذاك – وبعد فترة قضوها في سجون هرمز نفى الجميع الى جوا حيث بقوا في سجونها الى ان استطاع الاب اليسوعي توماس ستيفنز (Thomas Stevens) من اخراجهم بكفالة – على ان يباشروا مهنة التجارة في جوا.

في 5 ابريل 1585 هرب فتش، ونيوبرى وليدز من المقاطعة البرتغالية ووصلوا بعد عدة ايام الى بلاط (المغول الاعظم) اكبر في فتح بور سيكرى – (فتح بور) هنا قام ليدز بالعمل في بلاط اكبر وبدأ نيوبرى رحلة العودة في 28 سبتمبر 1585 من لاهور الى القسطنطينية ومنها الى لندن، اما فتش فقد عبر نهر الكانج الى البنغال وثم الى شيتاكونج وبيجو وفي النهاية الى ملقا في 8 فبراير 1588 وانتقل مرة اخرى منها الى بيجو والبنغال وكوشين وجوا وشول وهرمز والبصرة ثم الى حلب عائدا الى بريطانيا التى وصلها في 29 ابريل 1591.

لقد ذكرنا رحلة فتش بشيء من التفصيل لسببين الأول منهما انه كان في ترحاله في الشرق في نفس الفترة الزمنية التي كان بيدرو تيخسيرا متواجدا في الشرق حتى انهما كانا في جوا في نفس السنة 1589 مع علمنا الكامل بانهما لم يلتقيا فيها.

السبب الثاني هو اصراره على زيارة المناطق التابعة للنفوذ البرتغالي مثل ملقا وجوا وهرمز وبقائه في الاخيرة خمسين يوما قبل ان يتوجه الى البصرة – ولاعطاء السبب الثاني اكثر اهمية نجد انه في فبراير 25

عام 1585 يكتب ملك الاسبان من لشبونة الى نائبه في الهند (دوارتى دى منزيس) – قائلا: «اخبرنى نائب الملك (دي فرنسيسكو ماسكريناس) (D. Francisco - Mascarenhas) بان قائد قلعة هرمز ماثياس البوكيرك ارسل له اربعة من السجناء الانجليز واثاروا الشكوك في انهم مرسلين من قبل دوم انتونيو ويحملون رسائل منه ولكنهم يدعون انهم من التجار، لقد قام قائد قلعة هرمز بايداعهم السجن الى ان نقرر شأنهم، اننى اعتمد عليك في معاقبتهم بما تراه مناسبا اذا ثبت جرمهم وذلك بعد استقصاء الحقائق بصورة خاصة على ان تتخذ الاجراءات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا في المستقبل وعدم السماح لامثالهم بالدخول الى ممتلكاتنا وخاصة هرمز والتى نعتبرها المنفذ الذى يمر منه امثالهم وسوف تخبرني بما قمت به».

ان اهمية السبب الثاني تبدو لنا اكثر جاذبية الآن وخاصة لو عرفنا ان هرب هؤلاء السجناء من السجون البرتغالية في جوا بعد شهرين من وصول نائب الملك الذى كتب له الملك فيليب توجيهاته ولذا نجد استياء الملك من هذا الحادث واضحا في رسالته المرسلة الى نائب الملك من لشبونه في فبراير 13 عام 1587 – «اننى مستاء جدا لهرب الانجليز الذين اخبرني عنهم ماتياس البوكيرك وقام بارسالهم من قلعة هرمز الى سجون جوا في عهد فرنسيسكو ماسكاريناس والذين بعد هروبهم توفى اثنان منهم وبقى اخران في مناطق اخرى ● اننى اطلب منك البحث عنهم والقاء القبض عليهم وان تأمن وتشدد حمايتهم وان تحقق في ملابسات هربهم وان تجد الاشخاص المشتركين معهم وتخبرني بقرارك».

بعد عـامين من الرسالتين المذكـورتين يكتب الملك رسالة ثـالثة في 20 فبراير 1589 الى نائب الملك.

«ان ما ذكـرته لى عن توقـعاتكم بوصــول دوم انتونيـو حاكم كـراتو سابقا واحـتمال وصوله الى طرفكـم والاستعدادات التى قمت بــها قبل حلول الشتاء لحماية مضيق ملقــا – صار معلوما اما بخصوص الانجليز الاربعـة والذين توجهـوا الى الهند في عــهد الكونت دوم فـرنسيـسكو ماسكاريناس والذين اكـتشفـتم انهم من التجار وقـد توفى ثلاثة منهم وبقى الرابع في جوا وتزوج بها ومــارس مهنة الرسم، فانى اطلب منكم التأكد مرة اخرى عن القصد من زيارتهم».

ويذكر الملك اسماء هؤلاء الانجليـز في آخر رسالة له بتاريخ 12 يناير 1591 مرسلة الى نائبــه يقول: «بالنسبة للانجليـز الثلاثة والذين هربوا الى الهند واثنان منهم فــي عداد الموتى، اود ان اخــبركم بان تطلبــوا من الانجليــزي الرابع والذى يمارس مــهنة الرسم فــي جوا الآن، مــغــادرة المناطق التابعة لي والعودة الى بلاده في اول سفينة متجهة الى هناك.

اننا نذكر هذه الرسائل والاوامــر الصادرة من الملك بشـيء من الغرابة حيث انه وبـرغم انذارات الملك الى نوابه نجد ان فـتش يقضـي فـترة في ملقا 1588 ويعود الى كـوشـين (1589) ويبقى فيها ثمانيـة اشـهر دون ان يتعرض له احد من البرتغـاليين ومن ثم وصوله الى هرمز ومغادرته منها الى لندن دون اعتقال او تحقيق.

وربما يرتبط هذا كله بتصرفات شـخصية اخرى ذات اهمية كبرى في وصـول الانجلـيز والهولنـديين الى الشرق حيــث انه وبعد شـهـرين من

مغـادرة رالف فتش واصـدقائه لندن، يتوجـه في 8 ابريل 1583 رجل هولندي يدعى جـان هيو لينخـوتن (Jan Huyghen Linschoten) من لشبونة الى الهند.

لقد كتب هذا الهولندي الكتاب المـشهور (المسمى ايتنراريو او المذكرات الخاصة) والتى نعـتقد ان بيدرو تخسـيرا قد قرأه قبل كتـابة كتابه ومع تواجد الاثنين في جوا في عـام 1588 فإنهما لم يلتقـيا ولكن نكاد نجزم في انه لو لم يكتب الهولندي كتابه لكتب تخسيرا كتابا مماثلا لذلك.

ورغم ان الهولـندي غادر كوتشن عـدة اشهـر قبل وصـول فتش من البنغـال الا ان الاول لم يصل الى لشـبـونة الا بعـد ثلاث سنوات في 2 يناير 1592.

ووصل فــتش الــى لندن في ابريـل 29 – 1591 اي قــبل وصـــول الهـولندى الى لشـبونـة وقبل ثلاثة اسـابيع من مـغـادرة اول اسطول انجليزي الى الشرق تحت قـيادة القبطان ريموند (Raymond) والذى اسـتطاعت سـفـينة واحـدة (Edward Bonaventure) من الثـلاث اكمال الرحلة تحت قيادة القبطان جيمس لانكستر (James Lancas-ter).

اننا نعتقد ان قرار الانجليز بارسال اسطولهم الى الشرق هو الذى اثار موضوع كتابة الرسائـل من ملك الاسبان لنائبه في الهند في مارس 26 عام 1591 قائلا: «لقد بُلغت قبل عـدة ايام ان هناك استعدادا في انجلترا لارســال السفن الى جـزيرة ســانتا هيـلانا (santa Ylena) لانتظار السفن القادمة اليها، لذا ننصح السفن المتوجهة في ذلك الاتجاه ان تحمل

ما يكفيها من الماء وعدم التوقف في هذه الجزيرة واذا ما اضطروا في التوقف فليكن في (انغولا) وعلى جميع السفن الانتظار في كورفو في بحر الازور حتى يتمكن الاسطول من مرافقتهم في رحلة العودة الى لشبونه».

ولدينا اليوم وثيقتان برتغاليتان عن رحلة لانكستر الاولى منها كتبت بعد سنتين من بدء رحلته الى الشرق ويقول فيها الملك: «صديقى نائب الملك، انا الملك ارسل لك تحياتي، لقد كتب لي لويس فرنانديس دوارتى (Luis Fernandes Duarte) (والذى في بلاط الملك شريف في مراكش) انه يوجد في مراكش رجل انجليزي يتحدث عن مناطق تجارية بعيدة مثل سومطره وبيجو والتى لا توجد لنا قلاع فيها وانصح ان نباشر العمل في ذلك – وان نقوم بالتبادل التجاري مع اهالي هذه المناطق.

ان هذا الانجليزي يحاول الحصول على المساعدة من اهل مراكش وعلى المعلومات التى سوف تساعده على الوصول الى هذه المناطق ومع وجود الشك في تمكنه من ذلك ارجو منك ان تمنع اي انجليزي من وضع قدمه في هذه المناطق من اجل التجارة وان ترتبط بملوك هذه المناطق بمعاهدات صداقة مع دولتنا او مع الدول الحليفة لنا والقريبة منهم».

كتب في لشبونة 6 اغسطس 1593.

استطراد:

وعليك ان تعلم ان الانجليزي المذكور قد ذكر لنا انه ومنذ سنتين غادرت انجلترا سفن تحت قيادة القبطان تمبرتو (Timbortoe) والذى

وصل الى هناك واستولى على اثنتين من الغلايين لذا انك ترى الآن اهمية ما ذكرته لك وسوف تنفذ ذلك●».

في الوثيقة الثانيــة والمرسلة في اول مارس يذكر الملك لنائبه في الهند التالي:

«لقد اخبــرتني بان السفن الانجليزية قد وصلت الى تيــتانجون وعلى بعد ستة فــراسخ من موزامبيق وان الدوم جيرونيــمو د. ازفادو منعهم من التزود بالماء، انني اهنئ الدوم على فعله هذا وعلمت منكم حالة التوتر التي سببتها هذه السفينة والخــوف من وصول غيرها ارجو منك مراقبة الامــور بدقـــة ومنع مــثل هذه الـســفن من الوصــول الــى هذه المواقع ومحاربتهــا واجعل منهم عبرة للآخرين حتى لا يجــرؤ احد غيرهم على ذلك وأعلم انك سوف تقوم بذلك».

لم تكن رحلة لانكستر موفقة كمــا ارادتها بريطانيا وبناء على نتائجها قرر الانجليز التريث قبل ارساله اساطيل اخرى الى الشرق.

ولكن يبدو ان بلادا اخــرى اخذت الفكــرة وارسلت سفنــها الاربعــة الهـــولندية في 2 ابريــل 1595 تحت قــيـــادة كــورنيــلوس د. هوتمان (Cornelis de Houtman) متجهة الى ارخبــيل الشرق حاملة معها دليل البحر للهولندي لينخوتن (والذى طبع في نفس العام في هولندا) – ومثل المحاولات البريطانية انتهت هذه البعثة بكارثة تذكرها رسالة الملك في يناير 3–/1598 الى نائبه في الهند.

●يذكر السفير الفينيقي في البلاط البرتغالي ان السفن الانجليزية هاجمت اربع سفن لشركة الهند الشرقية واستطاعت ان تستولي على اثنتين وقامت باغراقهما..

●احد الذين لايزالون احــياء هو ستوري والذي بقى في جــوا وعمل بالرسم اما الثانــي فهو ليدز

«اننى قد وصلتنى الاخبار من الهند والتى تذكر وصول سفراء ملك هولندا الملك اشن (Achin) الى نائب الملك ماثياس البوكيرك محاولين عقد معاهدات صداقة وامور اخرى، لقد علمت انهم غادروا الهند خائبين ورغم ان هذا الملك (اى ملك هولندا) قام بنقل اسقف الصين والبحارة البرتغاليين الذين تحطمت سفينتهم وذلك رغبة منه في الصداقة والمودة معنا - مع ذلك انا في انتظار رسائل ماثياس البوكيرك ومنك ايضا واطلب منكم ذلك. لقد ارسلت لكم رسائل مماثلة عن طريق البر بعد وصول السفن الاربع والتابعة لاسفار العام المنصرم وقد اخبرتكم في هذه الرسائل عن كل شيء وكيف قام نفس الهولنديين بالتعرض للسفن المذكورة في جزيرة سانتا هيلانا هذه السفن كانت تحمل الفلفل والاعشاب من سومطره وجاوة اننى اعلم ان هولندا سوف ترسل سفنا اخرى الى هذه المناطق وان ملك هولندا والذى اثاره فشل مهمة سفرائه سوف يحاول مرة اخرى، لذا اطلب منكم ارسال الاسطول الى بحر ملقا ليكون مستعدا لمثل هذه السفن لكي يمنعها من دخول موانئه وان تحاربهم بكل ما يتطلب ذلك من قوة وعتاد وان لا تمد يد الصداقة لهم».

وفي رسالة اخرى في 26 يناير 1598 مرة اخرى يشير الملك الى سفراء الملك اشن (ملك هولندا) ويكتب الى نائبه ان يبدى الود لهؤلاء السفراء الآن حيث انه (اي ملك اسبانيا) لا يستطيع ان يعادى ملك هولندا - وخاصة ان سفن هولندا تجوب الآن البحار التى يسيطر عليها البرتغاليون فيقول: «انك تذكر ان سفراء ملك هولندا عادوا في السابق خائبين من جوا بعد ان فشلوا في الحصول على مطالبهم في عهد نائب الملك ماثياس البوكيرك اننى سوف ارسل له (اي لملك هولندا) واخبره انه

يستطيع ارسـال سفنه الآن وانهم يستطيـعون التعامل في التـجارة مع جزيرة سومطره ولك انت والمجلس الحاكم القرار».

في مارس 10/1598 يكتب الملك مرة اخرى الى نائبة في الهند.

«انه في السـابق كـان المطلوب من سفنـنا الانتظار في سـانتا هيـلانا لفترة من الزمن لا تتـعدى العشرين من شهـر مايو ولقد تبين لنا الان ان الفترة المذكـورة ممكن امتدادها الى نهاية شهـر مايو السبب في ذلك ان احـد سفننا اضطـرت لمواجهـة السفـن الهولندية هنـاك بسبب تأخـرها ووصولهـا وحيـدة الى سانتا هـيلانا، المطلوب الآن الحذر الشـديد عند التـوجه الى سـانتا هيـلانا حتى لا تفـاجئـهم السفن الهـولندية» يزداد الوضع تأزما بين هولندا واسـبانيا مـرة اخرى لذا نجد بعد اسـبوع من الرسالة السابقة يوجه الملك رسالة اخرى الى نائبه في الهند قائلا:

«الكونت والقائد البحرى صديقى نائب الملك والانسان المحبب لدي بعد ان كتبت لك سابقا عن هذا الموضوع (بـخصوص الهولنديين) واسفارهم الى الجنوب. اننى متأكد انك اتخـذت الخطوات اللازمة لابادتهم من بحر ملقا وانه اصبح الآن ضـروريا ان ترسل سفينة او اثنتين الى هناك (بدل ان تأخذ اثنتين من خمس سوف تتوجـه اليكم هذا العام) وسوف يتوجه اليكم كوزمـوس دى لافيـتا (Cosmos. de. Lafeta) والذى سوف يكون مسئول عن السـفن المرسلة الى ملقا لقطع الطريق على الهولنديين وانه يبدو لنا ان انجاز هذا الامر سوف يـكون اسرع بارسال سفينة من جوا الى ملقا بدل الانتظار لكي تنفذوا هذه الاوامر المرسلة لكم والتى اهم شىء فيها تحـقيق رغبتي وعدم الاهتمـام باي شىء آخر والوصول الى هدف تحطيم هذا التدخل وصيانة كرامة سفننا».

وقعت هذه الرسالة بواسطة الامـير في 17 مارس 1598 وذلك لشدة مرض الملك والذي توفى في 13 سبتمبر نفس العام.

وعندمـا كانت السـفن البـرتغاليـة جـاهزة للتوجـه الى الهند حـاملة الرســـائل الملكيـــة المغلقـــة الى نائب الملك (فــي 5 ابريل 1598) ارسل سكرتير الملك الملحق التالي مع هذه السفن وبامر من حاكم البرتغال.

«وفي يوم مـغــادرة السـفن وصلتـنا رسـالة من جـزيـرة مَـدِيره (Madeira) تخـبـرنا عن توجـه الاسطول الهـولـندي الى الجنوب لذا وجب عليك حـسب تـعليـمـات الحـاكم ان تقـوم يا صــاحب السـعـادة بالاحتياط اللازم في خليج انتاو في جزيرة ساو لورنسو (Sao Lou-renco) – وعليك بمعاقبة البرتغاليين الذين تسببوا في حوادث (جزيرة جاوه الكـبيرة) وخـاصـة اصـحاب الاسـماء المذكـورة في نهاية الفـقرة ومرفق مع هذه الاوامـر اوامر اخرى سوف يقـوم بتنفيذها كـوزمو دى لافيتا.

كتبت بواسطة سكرتير

حاكم البرتغال

دويجو فيلو Diogo. Velho

لقـد كانت الرسـالة التى وصلت من جزيرة مَـديره (Madeira) تحمل المعلومات الآتية:

ملخص لرحلة السفن الهولندية:

«خليج انتـاوجل الواقع قرب جـزيرة ساو. لورينسـو والذى يقع على موقع 16 درجة شرق الجزيرة المذكورة وهو خليج متسع وتقع فيه عدة جزر صـغيرة وواحـدة من هذه الجزر عـالية جدا ويوجـد خلفهـا موقع يناسب لرسو السفن وهذه الجزيرة المذكورة مسكونة وتنتج كمية كبيرة من الفواكـه مثل البـرتقال والحمـضيـات وتحتوى على عـدد كبـير من الحيوانات مثل الابقار والاغنام وبها مائتان من المنازل.

في خـارج هذا الخليج تقع جـزيرة سـانتا مـاريا (Santa Maria) والتى وجد فيها الهولنديون الفواكه والسمك.

ولقد واجـههم تيـار مائي قـوي في المضيق الواقع بين جـزيرة جاوه الصغيرة وجزيرة بالى منعـهم من التوقف، لذا توجهوا من جزيرة بالى الى الغـرب والجنوب الغـربي حـتـى وصلوا الى بنتـاو (Bantao) في جزيرة جاوه الكبيرة حيث نقلوا الى سفنهم البضائع.

لقد قابل الهـولنديون الكثير من البرتغاليين في جزيرة جـاوه الكبيرة والذين قاموا بالترحيب والاحتفاء بهم وزودوهم بالمعلومات وبالاسرار التجارية وخـاصة عن الفلفل الاسود وما قد يعـود عليهم من المال اذا هم تاجروا به.

ونذكر من البرتغاليين بيدرو دى أتيد (Pedro de attide) من ملقا

والذى اخبرهم بما يحاك لهم في السر مـن قبل البرتغاليين وحذرهم من المخاطر التى تنتظرهم من اهل جاوه اذا ما نفذوا تهديدهم ولذلك نجد انه وبمساعدة هذا البرتغالي وغيره عادت السفن الهولندية من هناك سالمة».

لقد كان فشل البعثة الانجليزية الاولى هو السبب الرئيسي وراء البعثة المكلفة من قبل الملكة اليزابيث والتى تكونت من ثلاث سفن تحت قيادة السير روبرت دودلي في عام 1596 (sir robert Dudley) والذي كان يحمل رسالة الى امبراطور الصين. لقد كانت السفن البريطانية الثلاث - بير (Bear) وبيرولب (Bearwhelp) وبنجامين (Benja-min) هي ثالث مجموعة من السفن البريطانية تحاول ان تجد طريقها الى الشرق ولكنها لم تفلت من العين الراصدة للاسطول البرتغالي في مياه الهند لذا نجد ان الغرفة التجارية في جوا تكتب الى الملك (في ديسمبر 1597) التالي:

«لقد قضى الكونت نائب الملك الشتاء في مومباسا ولقد وجد حالة الاستعداد البحري مزرية جدا ولذا اخذ في الاصلاحات البحرية وطلب بناء السفن الخفيفة والسريعة، ولقد ابلغه قبطان قلعة موزمبيق بأنه شاهد في يوليو الماضي سفينتين انجليزيتين في البحر المقابل لقلعة موزمبيق مما دعى الكونت ونائب الملك ان يسرع في انزال الاسطول الى البحر اضافة الى شراء سفينة كبيرة بمبلغ ستة عشر الف باردس (Par-daos) وسفينتين ملكيتين كبار وتسعة سفن صغيرة قام ايضا بشرائها لعدم تواجد سفن تابعة لصاحب الجلالة انذاك في حضائر السفن في

جوا ولقد تم اعداد ستمائة مسلح تحت قيادة لورينسو دي برتو وتوجه الجميع في 20 سبتمبر الى ملقا لاعتقادهم ان العدو قد توجه الى هناك وسوف يتمكن منه اسطولنا.. نود ان نبلغ جلالتكم ان تصرفات نائب الملك كانت عظيمة وخاصة اذا علمنا انه في السنوات الماضية قامت السفن الانجليزية في البحار الجنوبية باحتجاز سفينتين تابعتين لنا كانتا متوجهتين الى البنغال ولم نسمع عنهما شيئا، لذا نطلب منكم ياصاحب الجلالة امدادنا بالمال والرجال والعتاد وباسرع وقت ممكن..».

ويكتب الأب جودو سانتوس (Joaodos Santes) من موزمبيق مؤرخا هذا الحدث في كتابه اثيوبيا الشرق.

«عندما وصلنا الى موزبيق، كان القلق مسيطرا على اهل البلاد وكانوا في خوف عظيم من وصول الاسطول الانجليزي وذلك بسبب المعلومات الواردة عن طريق البر من البرتغال الى الهند والتى قام حاكم الهند مانويل ديسوزا بابلاغها الى القلاع البرتغالية.

لقد انتقل اهالي البلاد بمتاعهم ومحاصيلهم الى القلعة التى اصبحت مزدحمة ـ زيادة على دعوة قائد الحاميه دوم هورنيمو دي ازفادو (Dom Hieronymo de Azevdo لقائد ملندي براس دي اجويار Bras d Aguiar بالانسحاب من قلعته والالتحاق به في موزمبيق.

لقد وصل الاخير في سفينتين مع رجاله وبارجتين محملتين بالمؤن ورغم كل التوقعات والا ستعدادات لم يصل الانجليز الى موزمبيق الابعد سنتين وفي سفينتين فقط (في 13 يونيو 1597) توجهتا الى البحر الجنوبي (الى ملقا) علما بانه في عام 1591 اي قبل ستة سنوات

زارت موزمبيق سفينة انجليزية واحدة فقط وكانت اول سفينة انجليزية تتوجه الى الهند منذ عهد فرنسيس دريك (Francis Drake) هذه السفينة المذكورة توقفت في تيتانجون (مورد مائي مشهور) وتزودت بالماء في 27 اكتوبر وتوجهت بعد ذلك على ملقا.

اما كوتو (Couto) فهو يذكر هذه الاحداث بعد وصوله الى جوا من موزمبيق في 19 اغسطس 1597.

«لقد نقل قبطان هذه السفينة رسالة من قبطان القلعة في موزمبيق والتى يذكر فيها ان سفينتين هولنديتين (انجليزيتين) وصلتا الى ميناء تيتانجون على بعد خمسة فراسخ من موزمبيق وتزودتا بالماء وبدى له انهما متوجهتان الى سوندا Sunda لقد قلق الكونت وأهل المدينة لمثل هذه الاخبار وطلب الحاكم (حاكم جوا) انعقاد المجلس ودعي اليه الضباط والاسقف الأب اليكسيو دي منزيس Alexio de Menezes وكل الضباط المتقاعدين واطلعهم على هذه الرسالة واخبرهم بخطورة الامر فيما لو وصلت هذه السفن الى ملقا وخاصة انهم ربما يثيرون البلاد المجاورة ضد قلعة ملقا ويتعرضون لتجارة الصين واليابان ويحصلون على ما يقارب مليونين من الجنيهات الذهبية (حجم التجارة بين الصين واليابان والهند) ولقد اخبر الكونت المجلس انه على استعداد لتنفيذ قراراته (المجلس) لانه لديه ما فيه الكفاية من الغلايين (سفن برتغالية كبيرة) والرجال والعتاد وسوف يدافع عن حق الملك وانه قد جاء الى الهند للدفاع عنها وليس للراحة وطلب من اعضاء المجلس اعطاءه رأيهم كتابيا بما يرضى الله والملك، في اليوم التالي جاء الجميع

واعطوه آراءهم مكتوبة واتفقوا على ارسال سفينتين كبيرتين وثلاث عشرة سفينة اخرى صغيرة وخمسمائة من الرجال المسلحين وكان ذلك في اعتقادهم يكفي للبحث عن هذه السفن (الانجليزية) (الهولندية) وتأمين المسارات البحرية للصين واليابان.

وبعد الاتفاق توجه القائد البحري العام الكونت نائب الملك الى حوض السفن الخاص بالاسطول ونظرا لعدم وجود المشرف المسئول (وذلك لان المسئول والذي عين في عهد ماثياس البوكيرك فيسينسيو دي بوني Vicencio de Bane قد توجه الى البرتغال في يناير 1597 وكان الكونت غير راغب في تعيين احد في هذا المنصب لانه اراد الاحتفاظ به لنفسه ولكن وفي هذه الظروف قام بتعيين دي فرنسيسكو دي نورونها D. Francisco de Noronha مسئولا طالما بقيت مسئولية الاسطول المذكور له وعين اخاه دي لويس دا جاما D. luiz da Gama مسئولا عن مخازن السلاح والذخيرة وعين د. أنتونيو د. ليما D. Antonio de lima مسئولا عن مخازن المؤن وطلب من ضباط الجمارك مساعدته وطاعة اوامره.

وعين لورينسودي برتو قائدا عاما للاسطول المزمع ارساله الى ملقا ولم يستقر نائب الملك حتى اكمل كل التجهيزات اللازمة ودفع ثلاثة ارباع اجر كل جندي وعامل على هذا الاسطول ونتيجة للسرعة التى لازمت الاستعدادات جهز الاسطول المذكور فاستقل القائد العام سفينته الكبرى والسفينة الاخرى القبطان بيريرا كوتينو pereira cotinho واما الباقى فواحده للقبطان د. لويس دي نورونا ابن كوند داليبنارس

Conde delin hares والذي جاء من البرتغـال في عام 1595 حاملا مـعه لقب القـائدي البحـري والسـفينة الاخـرى بقيـادة جورينمـو دي نورونها ابن دي انتـونيو دي منزيس D. Antonio de menzes وهذا بالاضافـة الى سفـينة اخرى في انتظار الاسطول فـي ملقا مع قبـطانها روى دياس دا اجوايرRuy dias de Ajuiar. امـا السفـن الصغـرى وعددها تسعة بقيـادة القبطان دي فرنسيسكو هرنيكس D. Fran cis-co - Herniges وهو قبطان قلعة ملقا والقبطان استيفادو تخسيرا دي مـا سـيـدو Estevado Teixeira de Macedo وهو قـبطـان قلعـة موزمبيق والفونسو دي منزيس ابن فـرنسيسكو دي سيلفادي منزيس، ونيكولاو بيـريرا دي ميـرندا ابن هنريك هنريكوس دي ميـرندا ولويس لوبيز ديسـوزا، وجيرونيمـو بوثيلو، جورج دي ليمـا بارتو، ديجولوبو ابن دي رودريجو لوبو وجو. د. سيخاس.

غادر الاسطول جوا في يوم الاحـد الرابع والعشرين من سبتمـبر، اما عن السفن الهولندية (الانجليزية) فانها وبعد تزودها بالماء في تيتانجون توجـهت الى قـبـالة جوا ومنهـا الى ملبـار الى رأس كـومـريم وهناك احتـجزوا السـفن التجارية المتـوجهـة من جوا الى البنغـال والتى كانت محملة بالارز وبعد معركة معها صادروا حـمولتها وسرقوا مبالغ كبيرة من المال ولكنهم اطلقوا سراح بحارتها وارسلوهم الى ملقا.

ويذكر كـوتو Couto عن الاسطول البـرتغـالي (والمرسل لتـعـقب اسطول الهولنـديين) بان هذا الاسطول اي البرتغالي وصـل الى ملقا في 24 سبتمـبر 1597 ماعدا سفينة واحدة بقـيادة لويس ـ لوبيز ديسوزا

والتى تحطمت قرب منار ولكن التحق قبطانها والجنود بسفينة اخرى نقلتهم الى الاسطول البرتغالي في ملقا وبلغت انباء السفن البرتغالية الى القبطان البحري لورينسو دي برتو في ملقا واخبر بانها متواجدة في رأس كوميريم، قام القبطان البحري بدعوه مجلسه الحربي للانعقاد فقرر المجلس بكل اعضائه بانه يتحتم على القبطان البحري التوجه بكامل اسطوله الى سوندا وساحل جزيرة جاوه لتأديب السكان المحليين الذين ثاروا على الوجود البرتغال المسيحي فيهما وسرقوا الممتلكات.

هذا الى جانب دعوة ملوكهم الى عدم الاتصال باية قوة اوروبية اخرى اذا ما دخلت سفنها الى موانئهم، ومن ضمن التوجيهات الى القائد البرتغالي بانه يتحتم عليه القاء القبض على اثنين من الانجليز في جزيرة بالي (الحقيقة ان الكاتب هنا يخطيء ويسمى الهولنديين انجليز) حيث يؤكد المترجم بان المذكورين هما هولنديان تخلفا عن اسطول هولندا الذي قاده هوتمان (Houtman) الى تلك الاراضي في 1597 ولم يلحقا بالاسطول عند مغادرته جزيرة بالي وبقيا فيها بين الوثنيين».

عندما غادر الاسطول بأمر نائب الملك طلب منهم الاخير عدم التعرض لاية سفينة متجهة الى سوندا وجاوه ورغم ذلك قام القائد العام للاسطول بمصادرة اغلب محتويات السفن التى صادفها في طريقة، فسبقته هذه السفن الى المكانين المذكورين واخبرت الاهالي بما حصل لها فاستعد الناس لوصول اسطول البرتغال.

عند وصول الاسطول الى سوندا ارسل القائد سفنه الصغيرة للتزود بالماء ولكن منعهم الاهالي من ذلك فنزل كثير من بحارة الاسطول

وضباطه الى الساحل فقام الاهالي بمحاصرتهم وقتلوا الكثير منهم بما في ذلك القادة الثلاثة.. د. لويز، ود. جورينمو د. نورونها وروي دياز اجويار، ولم تستطع سفن الاسطول التدخل لصعوبة مناورتها نتيجة الحمولة الكبيرة (والتى صودرت من السفن التابعة لهذه المناطق) وتواجد البحارة على الساحل.. ولم يتمكن القائد الاعلى من النزول لانقاذهم وذلك لصعوبة البحر وهيجانه حول الجزيرة.

وبدخول موسم الامطار «المانسون» لم يتمكن القائد البحري لروينسو د. بريتو من الانتقام من الاهالي او الحصول على الهولنديين فغادر الميناء الى ملقا ووصلها في 10 يوليو 1598 وبقى فيها الى يناير من العام التالي وتوجه بعدها الى جوا، وقبل مغادرته حاول البحث عن (الانجليزيين) (الهولنديين) المذكورين ووصلته انباء انهما قد تسلقا سفينة راسية في ميناء كويدا على بعد ستة فراسخ من ملقا ولكنه لم يتوجه لا عتقالهم رغم مطالبة قائد حامية ملقا والضباط المرافقين له بذلك.

عندها ارسل نائب الملك يأمره بالتوجه الى جوا وبمجرد وصوله اليها اخبره سكرتير نائب الملك بأنه عليه التوجه الى منزله للاقامة الجبرية حتى يتم التحقيق في بعض المخالفات التى ارتكبها.

قرر نائب الملك دعوة المجلس الحاكم للنظر في القضية واصدار الحكم فيها ولم يقبل اعضاء المجلس بذلك ولاسباب خاصة قرروا احالتها الى المحاكم العادية مثل اية قضية اخرى ونتيجة لذلك حكمت المحكمة على القائد المذكور بغرامة مالية كبيرة وتعيينه قائدا الى حامية (سفاله).

يقـول كوتو «ان نائب الملك ارسل لورينسو دي برتـو قائدا لحـاميـة سفاله وذلك بعـد اعادة الاعتبـار له وتبرأته من التهم الموجهـة اليه وبعد ثلاثة اعـوام عين قائدا لحـاميـه موزامـبيق حـيث قاد في 1609 حـملة تأديبية ضد عدد كبير من (الكفرة) وخـسـر فيها المعركة وكانت خسـائره البشرية كبيرة جدا مما ادى الى تجريده من اوسمته ورتبته العسكرية.

يبدو ان (الكفـرة) مسـمى محلي للسكان وربما كانـت هذه التسمـية ماخوذة من العرب المقيمين هناك للسكان الاصليين.

ورغم فـشل اسطول لـرويسنو برتو في تحـقـيق مطالـب نائب الملك استطاع اسطول برتغالي اخر تحقيق ذلك دون ان تكون مسئوليته القيام بهذا العمل.

فقـد كتب كوتو مرة اخـرى «بينما كان لروينسـو برتو في سوندا لم يكن اولـئك الذين في «ملـقـا» يـدركـون قـرب الاسطـول الهـولندي (الانجليزي) منهم وبينما كان الاسطول البـرتغالي المتوجه الى الهند من ملقا يستـعد للابحار (كان هذا الاسطول مكونا من سفـينة ماجويل دي كونها والذي كان سـينقل الضـابط المسئول عن حاميه ملقا لانـتهاء فترة عمله والذي كـان يدعي فرنسيسكو داسلفـا دي منزيس وكان في نفس الوقت قائدا لهذه السـفن وهي في طريقها الى جوا وكـانت هناك سفينة اخرى من الصين وقبطانها فيرناو دي الميدا وعدة سفن اخرى،

قبل مغـادرة هذا الاسطول ملقا توجه القبطان جو جـومس فايو (قبل الاسطول بيـوم واحد) الى الهند. وفي اليـوم التاسع وعلى بعـد ثلاثين فرسخـا من ملقا وقرب جزيرة بولو بار سيـلار شاهد اثنتين من السفن

الهولندية (انجليزية) فعاود ادراجه متوجها الى ملقا مرة اخرى ومرسلا (بلم) في المقدمة لينذر الاسطول المتواجد فيها بأقتراب اسطول العدو ويخبر فرانسيسكو داسيلفادي منزيس عن هذا الاسطول، بوصول هذه النبأ قام القائد المذكور بجمع كل الضباط المتواجدين لاستشارتهم وقرروا عدم التوجه الى الهند بل الصمود ومحاربة سفن العدو.

عادت السفن البرتغالية الى ملقا وكانت في مقدمتها سفينة (جوجومس فايو).

وما ان شاهدت سفن العدو السفن البرتغالية حتى رفعت الاعلام الملونة والبيضاء بدعوى انها سفن تجارية قادمة الى الميناء ورست هذه السفن قرب سفينة جوجومس فايو وماهي ساعات الا وقد اشتعلت حرب المدفعية بين الاسطول البرتغالي والسفن الاخرى وفقد فيها اسطول العدو العتاد واصيبت سفنه باصابات بليغة، ومن الجانب البرتغالي قتلت ابنة فرنسيسكو داسيلفا دي منزيس وخادمتها بقذيفة مدفع ومع انفجار مخزن البارود لقائد الاسطول المعادي اضطر قائده الى الانسحاب من ميدان المعركة فارسل الاسطول البرتغالي رسله الى ملقا لاخبار حاميتها بالاحداث ونتائجها وتوجه بعد ذلك الى كوشين..

ارسل قائد حامية ملقا سفنه للبحث عن اسطول العدو وتم رصده في ميناء كويدا وقد اصيبت سفنه وقتل الكثير من بحارته وجرح عدد كبير من الباقين وغادر بحارة الاسطول الانجليزي ميناء كويده (اوكده) في سفينة القائد متوجهين الى السنغال.

الهدلنديون في الشرق:

في عام 1598 توجه اول اسطول هولندي الى الشرق وكـانت سفينتا القـيادة (الاسـد واللبؤة) تحت قـيـادة المرعب كورنيلوس دي هوثمـان Cornelis de Hout man والربان الرئـيـسـي رجل انجليـزي يدعى جون ديفس John Davis والذي يعـتبـر الوحـيد الذي كـتب عن هذه الرحلة والتى هلك فيها القائد الاعلى والكثير من بحارته.

ابتـدأت هذه السـفن الابحـار في فلشنج Flushing في 15 مـارس 1598 ووصلت في 21 يونيو 1599 الى مـيناء اشن وهو يعتـبر الميناء الرئيسي لتـجارة الفلفل الاسود فـي ارخبيل الملايو وكـانت هذه السفن اول سفن اوروبية بعد البرتغاليين تصل الى هذا الميناء وفي اول محاولة لكسر الاحتكار البرتغالي ولكن ولسوء الحظ انتهت بكارثة عظيمة.

ولقد كانت نصائح الملك الدائمة في اسبـانيا والبرتغال ان يقوم رعاياه بمعـاملة ملك اشن معـاملة جـيده وهذا مـا انعكس على الهـولنديين عند وصولهم ا لى هذا الميناء ويذكر كوتو تفاصـيل الاحداث كما يلي: قبل ان يغـادر د. لويس ديجـامـا الى هرمـز جـاء اليه سـفـراء من اشن وقـام باستقبالهم احسن استقبال وبحضور كل الضباط والشخصيات الكبيرة المتواجدة في جوا انذاك وقد اجزل لهم فـي العطاء واستضـافهم ورعاهم الى حين موعد مغـادرتهم الى أشن، لا اعلم الغرض من زيارتهم ولم يتم تسجيل الزيارة في سجل الدولة «كوتو يعتبر مؤرخ للهند من تلك الفترة الزمنية وله حق الاطلاع على السجل» على كل حال لقد عادوا راضـين عن زيارتهم، وفي (3 مـايو 1599) غـادروا الى طرف ملكهـم حـاملين له



المعارك الحربية بين اسطول هولندا واسطول البرتغال

الهدايا في سـفينة كبيـرة بقيادة لويز ماسـيدو بوتو Luis machado . Boto

في 3 اكتـوبر 1600 يصل الى جـوا نـائب الملك الجـديد ايرس دي سلدانا Aires de saldanha وتوافق ذلك مع مـغادرة الاساطـيل لجوا (هذه الاساطيل غادرت بامر من نائب الملك السابق ديجاما).

وصلت سفينة السـفراء (سفراء ملك اشن) الى قلعـة ملقا حيث نزلوا منها وتم استقبالهم احسن استـقبال رغبة من قائدها في الامن والسلام لهذه الحامية وخاصـة اذا ما علمنا ان الملك اشن قد هاجم هذه القلعة عدة مرات ومنع عنهـا سفن الصين واليابان، قام قـائد حاميه ملقـا فرنو دي البوكيرك Fernao de Albuquerque بأرسالهم الى بلادهم بصحبة الفونسو فينسينت Affonso - Vicente حيث كان مـعروفا لدى الملك ويرافقـه الأب امارو من رهبان القـديس اغسطين لعلمـه باللغة وقيـامه بالترجمة.

عند وصـول سفينـة ملقا الى هناك شـاهدت سفـينتين هولنديتين في ميناء اشن وكانت هذه السفن هي نفس السفن التى اشتبكت مع سفن د. جورينمو كوتينهو في جزيرة سانتا هيلانا.

دخلت سفينتنا الميناء ونزل سفراء الملك منها ومعهم سفيرنا وكثير من المرافقين وكان في انتظارهم عدد كبـير من المستقبلين ارسلهم الملك لذلك وتمت بعد ذلك مـقابلة الملك واكـرم وفادتهم وفرح بالهـدايا المرسلة من نائب الملك في جوا، انتهز الفونسو فـينسينت خلوته مع الملك والترجمان وطلب منه دعوة البحارة وضباطهم المتواجدين في السفن الهولندية الى وليمه والتخلص منهم جميعا وقتلهم حيث انهم قراصنة.

ويذكر جـون ديفس، ان الملك اخبـر (دي هوتمان) القائد الهـولندي بما طلب منه البـرتغالي وابدى رغبـته في التـعاون معـه واهداه كيـسا من الذهب، وطلب منه مساعـدته ضد اسطول ملك جوهر (مملكة في الطرف الجنوبي من ملقا) والذي كان في حالة حرب معه.

اسـتـعد اسطول ملـك اشن لمهاجـمـة اسطول ملك جـوهر والتـحق الاسطول الهـولندي به مـقـابل شـحنة كـاملة من الفلفل الاسـود. ومن مخـتلف المصادر توجد ثلاث روايات تذكـر مصيـر الاسطول الهولندي المذكور.

الاولى: منهـا تؤكـد أن الملك (أشـن) وجـه دعـوة للقـائد الهـولندي وقيـادته الى وليمة حـسب طلب القائد البرتغـالي الفونسو ـ فـينسينت وقتلهم جميعا.

اما الرواية الثـانية تؤكد موت الطاقـم الهولندي بالسم الذي دس لهم في النبيذ على ظهر السفينة.

اماالثـالثة وكـتبت بواسطة جون ديـفيس فهـو يؤكد الرواية الثـانية ولكنه يذكر ان العدد الباقي من الهولنديين كان صـغيرا لذا قاموا باغراق احدى السفينتين وابحروا بالثانية.

في اول مايو 1598 ابحرت ثماني سفن تحت قيادة جاكوب كورنيلز فانيك Jacob Cornelisz VanNeck وويبراند فان واريجك (way-band van warwijck) وغـادرت هذه السفن الثمانـية مـيناء تيكسل Texl مـتجـهة الـى الشرق وصلت ثلاثة مـنها في نوفـمـبر الى بنتـام والـخمس الباقـية بعد شهر من ذلك الـتاريخ في 11 يناير 1599 غادرت

اربع سفن منها تحت قيادة فانيك الى سومطره وبعد توقف في سانتا هيلانا وصلت الى تيكسل مرة اخرى في 19 يوليو 1599.

اما السفن الاربع الباقية غادرت بنتام في 8 يناير 1599 وتحت قيادة فان واريجك وجاكوب فان هيمسكرك Jacob van Heemskerk ووصلت امبوينا في 3 مارس (بعد ان تعرضت في الطريق الى الاعتداء من قبل اهالي جزيرة ارسيابايا وفقدت عددا من الرجال غرقا واسترجعت بعض السجناء مقابل دفع مبالغ مالية).

في 11 مارس غادرت اثنتان من السفن الاربع تحت قيادة فان هيمسكرك ووصلت الى باندا وفي 5 يوليو عادت الى بانتام ومنها الى سانتا هيلانا في اول يناير 1600 غادرت هذه السفن سانتا هيلانا ووصلت الى تيكسل مرة اخرى في 19 يوليو 1600م.

اما السفن الباقية وتحت قيادة فان واريجك فقد وصلت في سبتمبر 1600 الى تيكسل وقد نشرت الصحيفة اليومية خبر الرحلة التى قامت بها السفن الثمانية الى الشرق.

ويبدو ان معركة بحرية كبيرة قد وقعت قرب جزيرة سانتا هيلانا وقع فيها العدد الكبير من القتلى الهولنديين والبرتغاليين وتذكر المصادر البرتغالية بانه ما ان غادرت السفن الهولندية هذه الجزيرة حتى ابتدأ البحارة البرتغاليون بعملية اصلاح السفن وبعد خمسة ايام من مغادرة اسطول هولندا (30 ابريل وصلت السفينة (نوسا سنيورا داباز) وفي 3 مايو السفينة كونسيساو وفي 16 مايو وصلت سفينة القيادة من جوا واخبرهم دييجو ديسوزا عن المعركة مع الهولنديين وساعدوه في

اصلاح السـفن وفي يوم وصول سـفينة القيـادة وصلت سفـينتان من اسطول هولندا ولكن بعد رؤية سفن البرتغال ابتعدتا عن الميناء الرئيسي الى جزء آخر من الجزيرة ولم تكن الرياح مناسبة لمهـاجمتهما وقد اهمل وصولهم دي جورينمو كوتينو في البداية ولكنه ابدى استعداده للهجوم اذا مـا كانت الظروف مناسـبـة، ارسل قبطان السـفن الهـولندية رسله لمقابـلة قائد السـفن البرتغالـية وطلب المسـاعدة في الحصـول على الماء فرفض القائد البـرتغالي ذلك مدعيـا انهم اذا كانوا فعلا اصدقـاء فعليهم الاقتراب بسفنهم منه (وكان يقصد تدميرهم).

في 21 مايو وصلت السفينة التى يقودها د. فاسكو داجاما D. vasco de gama واطلق مدافعـه على السفن الهولندية فـاضطرت الى مغادرة الجزيرة (سـانتا هيلانا) وابحرت الى سواحل غينيا ويذكر البحار المرافق للسفن الهولنـدية انهم لم يبحروا الى سواحل غينيـا بل واصلوا رحلتهم الى هولندا وقد اصابهم العطش الشديد امـا عن الاسطول البرتغالي فقد فـشل في البحث عن السـفن الهـولندية فتـوجه الى جـوا بقيـادة (دي جورينمو كوتينو).

الى جانب السـفن الهولندية المتجـهة الى الشرق (حـول رأس الرجاء الصـالح)، ارسلـت هولندا اسطولين في اتجـاه الجـنوب غـربي وكـان الاسطول الاول يتكون مـن خمس سـفن تحـت قيـادة جـاكس مـاهيـو وسيمون دي كوردس.. وكان القـائد البحري ويليام ارام في احدى هذه السـفن، واسـتطاعت هذه السـفن الوصـول الى مـوانيء اليـابان بعـد ابحـارهـا من روتردام في 27 يونيـو 1598 وقـد انتـهت سـفن هذا

الاسطول الى كارثة عظيمة وذكرت تفاصيلها في عدة مصادر ولكننا سوف نعتمد على مصدر كوتو لدقته.

في عام 1600 وصلت الى جزيرة اليابان سفينة هولندية وتوجهت الى ميناء شاتيفاى Oita في مملكة بانجو وحيث ان الرياح غير مناسبة في هذه الفترة من السنة فانها وفي اعتقاد التجار هناك لم تأت من الصين او الفلبين ولكن من (اسبانيا الجديدة) ونعتقد انها كانت متجهة الى مكان آخر وقد دفعتها العواصف الى اليابان، فارسل التجار البرتغاليون المقيمون في الميناء الى ملك شاتيفا يطلبون منه الاستعداد للمساعدة اذا ما تطلب الامر ذلك في نفس الوقت توجهوا الى السفينة في عرض البحر وما ان وجدوا بانها هولندية حتى عادوا مرة اخرى الى الميناء وما ان بلغت انباء هذه السفينة البرتغاليين المقيمين في نجازاكي حتى أرسلوا الى تيرازافا Tirazava (حاكم هذا الاقليم) يخبرونه ان بحاره هذه السفينة (من اللوثريون اعداء البرتغال واعداء للمسيحية كلها فاتجه حاكم الاقليم الى بنجو وطلب من السفينة الهولندية دخول الميناء وانزل حمولتها ودون كل مابها في دفاتر رسمية تذكر لنا هذه الدفاتر مايلي: اثنا عشر صندوقا من الاقمشة الصوفية صناديق كريات الزجاج مرايات ونظارات، خمسمئة بندقية، وخمسة الاف من الكريات الحديدية ثلاثة مائة من الطلقات، وبراميل البارود، ثلاثة صناديق تحتوي على معاطف خاصة، مسامير حديدية، مطارق، واشياء اخرى مختلفة ويبدو من ذلك انهم قد جاءوا فاتحين ويريدون الاستقرار واخبروا الحاكم بانهم جاءوا للبحث عن السفن الهولندية والتى غادرت هولندا في 1599 متجهة الى سوندا ومالوكو ولا يعلمون اي شيء عنها الان.

ويواصل كـوتو روايته ويذكـر ما حدث لـهذه السفـن كما يلـي في عام 1598» خرجت خمســة عشرة سفينة من هولندا (روتردام مـتجهة الى الشرق وكـانت تبحـر في تشكيلة واحدة حـتى وصلت الى ميناء غـينيا وانقسمت هناك الى ثلاثة مجموعات، عبرت احداها رأس الرجاء الصالح واتجهت الى سوندا ومن هناك اتجهت اثنـتان الى ميناء اشن ولا نعلم ما حـدث لباقي الاسطول امـا السـفينـة الثالثـة والتي كـانت تحت قيـادة بلشازار داكوردا Balhazar de Corde «في الحقيقة يخطيء كوتو هنا والاسم الصحيح للقـائد جاكس مايهو والذي بعد وفاته اصـبح سيمون داكوردا قائدا للسفينة» هذه السفينة اتجهت الى انغولا ومنها الى مضيق مالجاس وبعدها الى احد الجزر حـيث قتل عدة رجال منهم بحثا عن الماء ـ ومن هناك اتجهت الى قـلعة شيلي في بيـرو ـ فقامـوا باقتحـام القلعة وقتل سـاكنيـها فقام الاسبـان بالهجوم عليهم من الداخل وقتلوا خـمسة عشرة منهم وفر الخمسة الباقون الى سفينتهم.

في عام 1598 اتجه ثاني اسطول هولندي الى الشـرق الاقصى وكان هذا الاسطول يتكون من اربـع سفن هذه المرة تحـت قيـادة اوليـفرفـان نورت Olivier van Noort وأبحر هذا الاسطول في 13 سبـتمبر من ذلك العام وقد صـادف الرحالة تخسيرا (وهو في طريقـه من مانيلا الى اكابولكو في 24 نوفمبر 1600م) سـفينتين من هذا الاسطول نجا منهما باعجوبة.

واشـتبكت هذه السـفن في معـارك ضـارية قرب الفلبين مع السـفن الاسبانية في 24 نوفـمبر و 14 ديسمبر وفقـد كل طرف سـفينة واحدة

بعدها اتجــه فان نورت من هناك الى بورنيـو حيث وصل اليـها في 26 ديسمبــر وبقى بها حتى 4 يناير 1601 ومنها الى جاوة وســانتا هيلانا واخــيرا الى روتردام في 26 اغــسطس 1601 وكان بهــذا اول هولندي يبحر حول العالم.

وبينما كان الهولنديون يضاعـفون من اساطيلهم الى الشرق منذ عام 1598 لم يتمكن البرتغــاليون من إرسال اية سفـينة خوفا من الاسطول الانجليزي الذي ينتظرها ليدمرها ولكن كان حظ البرتغال افضل من ذلك في عام 1599 حيث يذكر كـوتو: «وصلت انباء الى البرتغال بان هولندا تهـيىء عـشر سـفن للابحــار الى الهند.. في هذا الـعام قــامت حكومـة البرتغال ممثلــة في مجلس التجار بالعزم على ارســال اسطول برتغالي جيد الى هناك بقيادة د. جورنيمو ـ كوتينو.

في بداية فبراير 1599 ابتدأت رحلة الاســطول البرتغالي بأربع سفن وتأخــرت ثلاث اخــريات ـ وفي الســفــينة اس. روك S. Rouqe أبحر القــبطــان ديجــو ديســوزا وفي أس ـ ســيمــاو S. Simao القــبطان الجاليسيان وسباستــيو داكوستا في السفينة conceicao كونسيساو وفي السفــينة باز paz جوبايز فــيريرا، ومــعهم جــو رودريجوس دي تورس وكــان مرســلا من ملك البرتغــال لكي يســتلم مكان الفيــدور. دا فازندا. في جوا.(امين الـخزائن).

في شـهر مارس 1599 لحقت بهم الـسفن الثلاث (الاخريات) وكانت الاولى كاستيلو وقائدها سيمــاو دي مندوكا وجو. ســوارز. في السفينة س. مارتينو وجاسبر تنريدو في الســفينة س. ماثيوس والذي طلب منه

قيادة قلعة مسقط ـ وكان على هذه السـفن البقاء في الهند بعد الالتحاق بالاخريات في موزمبـيق. وصلت السفن جميعها الى جـوا ماعدا واحدة (كاسـتيـلو) التى فقـدت في الطريق قرب مـوزمبـيق واستطاع ربانـها سيـماو دي مندوكا الوصـول الى الشـاطىء مع مجـموعة من بحـارتها ولكنهم لقوا حـتفهم جمـيعا بعد ذلك. ومع هذا الاسطول وصلـت اخبار وفاة دي فـاسكو ابن الحاكم العام لجـوا ونائب الملك وايضا اخبـار وفاة الملك فيليب (13 سبـتمبر 1598). ويعود كـوتو الى الاسطول الهولندي قائلا:

«ثلاث من هذه السفن تحت قيادة ستيفن فان هاجن وقد غادر هولندا في 26 ابريل 1599 وبقى عدة اشهر في مـوريشوس وابحر بعدها الى بنتام في 13 مـارس 1600 ومنها الى امبويناو باندا حـيث لاقت السفن الصعوبات من اهالي هذه المناطق ومقاومة من السفن البرتغالية وعادوا الى بنتام. وهـناك التقوا بست سـفن هولندية وغادروا مـعا الى سـانتا هيلانا ومنها الى هولندا فى يوليو 1601».

في 21 ديسمبر 1599 توجـهت اربع سفن هولندية الى الشرق تحت قيـادة بيتر بوث وفي 26 ابريل 1600 غـادرت سفينتـان اخريان تحت قـيادة فـان كاردن الى مـدغـشقـر والمالديف ووصلت الى بنتـام في 6 اغسطس ولحقت بهما السفينتان الأخريان بعد ذلك.

تم ارسـال هاتين السفينتين بواسطة القبطان بوث الى بريامان ولكنهما توجهـتا الى سـومطره ومنها الى آشـين في 21 نوفـمبـر حيث اخـبرهم بعض الهولنديين المعـتقلين هناك عن سوء المعاملة التى يلقـونها من ملك

اشين فغادرها فان كاردن الى بنتام ووصل اليها في 19 مارس 1601.

في 29 مارس وصلت ثلاث سفن هولندية الى بنتام توجهت واحدة منها الى مولكاس (ملجاس) وغادرت الاثنتان الباقيتان مع فان كاردن الى هولندا عن طريق سانتا هيلانا..

ويبدو ان الاساطيل الهولندية والتى توالى وصولها الى ارخبيل الملايو كانت مثيرة للقلق والمخاوف في جوا. ولكن ان ما يثير التعجب ان غرفة تجارة جوا لم تذكر في رسائلها الى ملك البرتغال اي شيء عن هذه المخاوف ورغم ارسالها في نفس الوقت الدعم الحربي الى ملقا وقلاع امبينو وملاكو ورغم تأكيد كوتو في مراسلاته عن نية البرتغاليين منع الهولنديين من القيام بأية اعمال تجارية في الهند او ارخبيل الملايو يبقى الصمت ملازما مراسلات نائب الملك الى لشبونه.

وقد ازدادت السلطات البرتغالية في جوا توترا عندما اسست شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام 1600، واتحدت الشركات التجارية الهولندية في شركة واحدة اطلق عليها شركة الهند الشرقية المتحدة في عام 1602. هنا وفي هذه الظروف فقد البرتغاليون هدوءهم وارسلوا الاستغاثة الآتية (في عام 1603) الى ملك البرتغال:

«مع ان امور الجنوب تحتاج شرحاً اوفر الا اننا سوف نختصر - ان الجنوب مليء بالهولنديين الآن وفي هذا العام استولوا على سفينة متجهة من سامتوم الى ملقا وكانت محملة ببضائع تصل قيمتها ثلاث مئة الف كروزادوس (عملة برتغالية) ومبالغ من المال تبلغ ثلاثة او اربعة آلاف مرسلة الى البنغال وقد صادروا اغنى واعظم سفينة غادرت الى الصين في التاريخ وكانت محملة بكل شيء من الهند وانتظروها قرب مضيق ملقا وفي نفس الوقت صادروا سفينة صينية. ان قلعة ملقا

لم تزود ولا نستطيع تزويدها وقد اصيبت مدينة ملقا بالمجاعة باسباب منع الهولنديين لسفن التموين من التوجه اليها.

ان هذه الامور تحتاج قراراً سريعاً وهو لديكم ياصاحب الجلالة، لقد ارسل لنا ملك اشن سفراءه يطلبون بناء قلعة في ارضه ولكننا لم نوافق، فقام بالاتصال بالانجليز من اجل ذلك ـ لذا نرجو من جلالتكم ان ترسلوا لنا اسطولاً قوياً ويتم توجيهه الى ملقا وليس للهند خوفا من عدم وصوله الى الجنوب حيث سوف تنتهي الهند فيما لو فقدنا الجنوب».

كانت هذه الحالة سائدة في الشرق الاقصى عندما غادر بيدرو تيخسيرا الهند في بداية 1604 عائدا الى بلاده ـ (للمرة الثانية).

مخطوط بيدرو تيخسيرا

اننا نعلم الآن من قراءتنا السابقة لهذا الفصل ان بيدرو تيخسيرا قضى زمناً طويلاً في هرمز يتعلم فيه اللغة الفارسية ويترجم شاهنامة توران شاه (ملوك هومز) ويلخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخواند).

وعندما عاد رحالتنا الى البرتغال في 1601 احضر معه التراجم المذكورة ولكن وبسبب عودته السريعة مرة اخرى الى الهند لامور مالية تخصه لم يدرك العالم وجود هذه الاعمال الا بعد عدة سنوات حين استقر في النهاية في مدينة انتورب الاسبانية آنذاك 1605 ـ 1609 ونشر ما كتبه عن ملحمة ملوك هرمز(1).

(1) كانت هذه الملحمة في نسخة واحدة مخطوطة فقدت اثناء الهجوم الانجليزي على قلعة هرمز 1622.

وتاريخ ملوك فارس الى فترة دخول العرب اليها، وذلك بعد حصوله على تصريح خاص بذلك، واستجابة لبعض الاصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك فارس باللغة الاسبانية بدل البرتغالية. مضيفا اليه كتاباً آخر وبنفس اللغة عن رحلاته واسفاره حتى ابريل عام 1609.

في عام 1610 خرج كتاب تيخسيرا الى الناس عامة (لاول مرة) بمقدمة جميلة يذكر فيها اسفاره ومحتويات الكتاب وقد لاقى هذا البحث استحسان القراء واستخدمه الكتاب كمرجع لهم عندما كتبوا عن الشرق وخاصة فارس وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة اخرى بلغة ثانية (الفرنسية). وفي النهاية جاءت الترجمة الانجليزية بواسطة الكابتن جون ستيفنز John Stevens.

كانت ترجمة ستيفنز مجزأة غطى الجزء الاول منها الفترة (1600 ـ 1601م) و (1603 ـ 1605م) من اسفار تيخسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسلة مقالات شهرية في مجلة (المجموعات الجديدة للرحلات والاسفار New collection of voyages and travels) والمطبوعة في لندن في بداية ديسمبر 1708 والتي استمرت حتى عام 1710م.

هذه المجموعة من المقالات اعيدت طباعتها مرة اخرى في 1711 وكانت تحمل عناوين مثل رحلة بيتر تيخسيرا من الهند الى ايطاليا عن طريق البر. اما باقي الترجمة (ترجمة ستيفنز) فقد عادت للظهور في سنوات تالية في كتاب تزين غلافة مناظر ترمز الى تاريخ فارس ـ ويحمل عنواناً طويلاً ـ تاريخ فارس الحاوي على سيرة وانجازات ملوكها منذ

نشأة الملكية حتى يومنا هذا مع شرح مفصل للمناطق الفارسية ووصف للهند والصين وبلاد التتار وكرمان وجزيرة العرب ونيشابور وجزر سيلان والتيمور والمدن الكبرى مثل شيراز، سمرقند، بخارا وعادات وطبائع الفرس من عبدة النار، والاشجار والحيوانات والمنتوجات التجارية في فارس. ووصف لطرق الدفن الغريبة وحرق الموتى ومشروبات الدول المختلفة، والصيد البري والبحري، والفيزياء واشهر الاطباء في الشرق ومنجزات تيمورلنك وملخص ملوك هرمز، وتاريخ فارس المكتوب بالعربية بواسطة المؤرخ الفارسي الشهير (ميرخوند) وتاريخ هرمز الذي كتبه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم الى الاسبانية بواسطة «انطونيو تيخسيرا الذي قضى عدة سنوات في فارس والهند وقد ترجمت هذه الاعمال الى الانجليزية الآن بواسطة الكابتن جون ستيفنز في لندن» والذي يحاول اضافة تاريخ فارس حتى بداية القرن الثامن عشر ـ اما تيخسيرا فانه يعطى شرحاً موجزاً لمقاطعات فارس وشجرة انساب ملوك الفرس مع شرح مطول عن تاريخ هرمز.

اما في كتابه الثاني فان ستيفنز استطاع اختصار الفصول في كتاب تيخسيرا (تاريخ فارس) من تسعة وخمسين فصلا الى ثمانية واربعين فقط، ولذا نجد ان اعادة فهرسة كتاب تيخسيرا اصبحت كالتالي:

1 ـ ترجمة مختصرة لمخطوط ميرخوند (تاريخ فارس). ورغم احتواء هذه الترجمة على عدة اخطاء الا انه يعود الفضل الى تيخسيرا في تعريف العالم الاوروبي بهذا الفرع من المعرفة.

2 ـ وترجمــة مختــصرة اخرى للشــاهنامة (المفقــودة) والتى كتبــها توران شاه ونقلــها تيخــسيرا ولــه يعود الفضل مــرة اخرى حــيث انها الوحيدة الموجودة الآن ولقد اعترف بفضله الباحث السير هنري يول sir henry yule واكد اهميتها.

3 ـ ملخص لاســـفـــاره 1600 ـ 1601م و 1604 ـ 1605م والتى نستــشف منها انه كــان ذا عيون قــوية ودقيــقاً في المراقبــة والتســجيل والنقل.

4 ـ مجمــوعة من المعلومات ادخلها تيــخسيرا في كــتابه ملوك فارس رغم عدم تــرابطها مع مــوضوع الكتــاب واحتوائهــا على معلــومات عن طبيــعة آسيــا وافريقيــا والاصول السكانيــة فيهــما والتاريخ الطبــيعى والدوائي وملاحظات شخــصية اخرى سواء شــاهدها او نقلها عن رواة آخرين ولكنها جميعها ذات فائدة للدارسـين.

لقد كانت وفــاة السير دبليو اف ســينكلير W.F. sinclair سببا في عدم اكــتمال الترجــمة الاخرى لكتاب تيــخسيــرا ولكن نستطيع ان ننقل رأيه من الأوراق التى تركها لنا حيث يقول في يناير 1899.

«انني انظر الى تيــخسيــرا على انه كان شاهدا ممــتازا ومراقــباً ثاقب النظر ولكن لا استطيع ان اجزم حاليا على الاقل وأؤكد حقيقة كل ما كتبه (رغم ثقتــه الشــخصيــة الكاملة).. ولكن ورغم ذلك لقد ترجمت اســفاره دون حذف اي شــيء منها. لقد قمت بترجــمة الشاهنامة الخاصة بتوران شاه لانها النســخــة الوحيدة الآن. اما بالنسبة (للملوك الفرس) فان قــيمته الادبيــة اصــبــحت الآن اقل من التــرجــمــة الموجــودة لكتــاب (روضــة الصــفا)»..

يعود السير سينكلير ليكتب في 23 يناير 1899 قائلا «انني اعتبر تيخسيرا من الرحالة الاوائل في العالم» وفي فبراير في نفس العام يضيف قائلا: «انه مسافر محظوظ لانه احتفظ باجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في هرمز»..

وفي مايو 1899 يؤكد «ان تيخسيرا كان حريصا ودقيقا كما هو متوقع اليوم من الرجال امثاله».

ويقدم لنا السير سينكلير اعتذاره قائلا: «إنني اقدم كل اعتذاري للدارسين والباحثين اذا ما وجدوا ان الاسماء المترجمة غير مقبولة حيث انني قمت بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت ان اعطي الاسماء قدرا كبيرا من الاهتمام لتطابق الواقع والمسميات الاصلية».

مقدمة جون ستيفنز
لكتاب بيدرو تيخسيرا (ملوك فارس وملوك هرمز)
المترجمة مع مقدمة كاملة لكل الاعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من اعظم الامبراطوريات الشرقية، ومع ذلك فان المعلومات المتواجدة عنها (وباللغة الانجليزية) تكاد تكون مجزأة ومحدودة ـ فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر ملوك الفرس، هذا الى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب اخرى تذكر دخول التتار الى فارس.

ارجو ان يسمح لي القارىء لعدم وجود الفصل الاول او الثاني والخاص برحلة تيخسير من الهند الى ايطاليا لذا سوف اترجم (الفصل الثالث) «كيف سافرت من هرمز ووصلت الى اعالي الخليج وعبرت دجلة والفرات الى مدينة البصرة».

قمنا بالاستعداد مرة اخرى والتزود في هرمز وابتدأنا سفرنا في 17 يونيو آملين برحلة موفقة هذه المرة ولقد اكدوا لنا ان الرياح الجنوب غربية اقل سرعة ومتقطعة الآن.. وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة.

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة (لخان)(1) وبعدها الى قلعة (ريشل)(2) في المنطقة المشهورة بالخبز والفواكه

(1) الخان (بندر بيد الخان والمياه الضحلة المقصود بها هنا مياه رأس المطاف والتى نهايتها رأس الخان.

(2) قلعة ريشل: المقصود بها ابو شهر وهو الخليج الترابي.

والخضار وتتبع هذه القلعة الملك او الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر، ومن هناك توجهنا شمالا الى (ريخ سيف الدين)(1) والمقصود به رمال سيف الدين وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والموالية لشاه الفرس ولكنهم يتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم اوراقهم الخاصة او جوازات سفرهم (اي اوراق وجوازات البرتغاليين) والا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية.. لقد كانت العلاقة بين رجال (بندر ريخ) والبرتغاليين سيئة جدا وذلك بسبب حوادث سابقة لذا وجدنا ان السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين ـ السفن الكبيرة ـ المرافقة لنا.

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (تسعة اميال) من الشاطىء وتعتبر ملجأ جيداً ضد الرياح الشمال غربية ـ وتغطى مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية مع توافر المياه وتكثر فيها اشجار النخيل ومزارع البصل والاغنام والماعز وتصدر منتوجاتها الى البصرة.

ويعتبر اهالي جزيرة خرج من الاعراب من الموالين لشاه فارس.

لقد توقفنا في هذه الجزيرة في يوم 25 يوليو ولمدة اربعة ايام وذلك بسبب الرياح القوية.

وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الاراضي الفارسية والتى تأتى عند هذه النقطة الى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة اخرى الى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة الى ان نصل الى مناطق اخرى ونكاد لا نراها مرة اخرى.

---

(1) ريخ سيف الدين: هو بندر ريخ او ريق.

وعند عبورنا بندر ريخ او ريخ سيف الدين ورشتل شاهدنا مصبات الانهار فيها(1).

اتجهنا غربا بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ولكن بسبب انخفاض مستواها عن البحر.. ومن هنا كان قبطان سفينتنا من اهالي جزيرة خرج ورغم انه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات الضيقة الا انه كاد ان يجنح بسفينتنا الى اليابسة في منطقة تسمى (الخراب)(2). ويقال انها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر وكان عرض المنطقة المذكورة اربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيطة كبيرة مع وجود سفينة في المقدمة للتأكد من البحر.

في اول اغسطس وصلنا الى شط العرب ويسمى العرب النهر المشهور بالشط والنهر الاصغر خور أو ود (لذا نجد في الاسبانية ود الكبير وودیانا وهي تعني نفس الشيء).

هذا الشط ناتج عن التقاء دجلة والفرات في منطقة القرنة ومنها وعلى بعد ثلاثة ايام تقع مدينة البصرة.

وفي القرنة وجدنا قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة بها بالمسارات المائية القريبة منها والتى تتوزع الى الشمال والجنوب، علما بأن المناطق الشمالية تابعة لمبارك ابن مطلب الزعيم العربي والمعادي للاتراك وتقع اراضيه في المناطق الفارسية ولكنه يطالب بها وبالبصرة ايضا.

---

(1) نهر رشتل هو خور سلطاني اما بندر ريخ فهو خور أصغر من خور سلطاني.

(2) منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج ويبدو انها كانت مدينة غمرتها المياه.

هذا الى جانب وجـود مدن متـميزة في منـطقته مـثل الحويزة والدورق والمجدم، هذه المدن تحيط بها مناطق زراعيـة واسعة ولكن لا يعتني احد بها خوفـا من هجمات الاتراك، اما المناطق الجنوبيـة والواقعة في مناطق النفوذ العربية فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها.

ينحنى النهر عند مصبه حنية كبـيرة ولكنه يعود الى مجراه الطبيعي قبل نهايته ويكاد يغطى مساحة ميلين في العرض وستة ابواع في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم الى آخر.

وتمتاز هذه المناطق سـواء شمالية او جنوبية بكـثرة الطيور من الاوز والحبـاري والخنازير البـرية وينتقل سكانهـا بين جزء وآخـر على جلد الحيوانات المنفوخ.

وعند وصـولنا الى هنا جـاء الكثـيـر من السكان العـرب على الجلود المنفوخة الى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبدة والتمر واشياء اخرى رخيصة جدا.

ورغم قوة الرياح المعاكـسة فقد استطعنا دخول النهـر وبعد ثمانية او تسعـة فراسخ وجدنا ان مسـارنا المائى قد انقسم الى اثنين متـساويين ومتوازيين ينحـدر احدهما جنوبا خلال جـزيرة العرب الى ان يصل الى القطيف قرب البحرين (1).

اما المسار الاخـر فهم اعمق واوسع من الآخر ومجرى الماء فـيه اقوى وبعد مسير مسافة صغيرة فى هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل (2).

(1) يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة.

(2) هذه الجزيرة تسمى الآن المحلة

فى 6 اغسطس الثامنة صباحا وصلنا الى سراج حيث تستخدمها السفن فى افراغ حمولتها.

توقفنا فى سراج بقرب قلعة الاتراك فى ضاحية مباركة وللاتراك قلاع كثيرة على المسارات المائية لحماية جنودهم من هجمات الاعراب ولسد احتياجات ومصروفات الحامية وغيرها.

توجد فى هذه القلعة ترسانة للاسلحة والمدافع ومجموعة من السفن الصغيرة والغير متقنة الصنع، واننى لا اعتقد أن هذه السفن والاسلحة وجدت لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها للسيطرة على العرب الثائرين ضد الضرائب الباهظة.. ولقد تم انزال سفينة جديدة اثناء تواجدى فى البصرة واننى اعتقد ان صغر حجم هذه السفن ناتج عن عدم تواجد الاخشاب وغلاء ثمنها.

ويعبر سكان القلعة القناة المائية على جسر خشبى محمول على ثماني سفن صغيرة وفى المناطق الاخرى بواسطة سفن صغيرة استخدمت فيها قطع الاخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك فهى لا تسرب الماء حيث انها مدهونة بالقار.

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة ومنها تصدر الى بغداد وموانى فارس وهرمز وتعتبر غذاء رئيسيا فيها.

وكذلك الخضار والفواكة والحبوب والارز واسعارها منخفضة حيث تنافس المستوردة من بندر ريخ والدورق، هذا الى جانب جميع انواع المواشى والاسماك النهرية التى لم استسغ طعمها.

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس

والبحرين والاحساء والهند عن طريق هرمـز وبغداد وللأسف تكثر فيها العقارب ورأيت احدها بحجم سمك السرطان النهري.

وهواء البصـرة غيـر نقى وغير صـحى ومناخهـا حار جدا وسـكانها اغلبهم من الاتراك والعـرب مع ان الغالبيـة من العرب السكان الاصليين ويحبون الاطفال والنساء ويقال ان نساءهم غير محصنات.

يتم الانتـقال البرى فى البـصرة بواسطة الجـمال والبـغال والخـيول والحمير ويصدر بعضها الى هرمز ومنها الى الاسواق الهندية.

ووجدت بعض منازل البصرة فى حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران وقـد تم بناؤها بعجل وذلك لانه ومـنذ عدة ايام وقع انفـجار كـبيـر فى مخزن لـلبارود ويعتقـد ان الف كيس من البارود احتـرقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى ان الناس ظنوا ان نهاية العـالم قد قربت، وتأثرت بهذا الانفجار مبانى المدينة والتى ربما قد مضى عليها مائتا عام.

لقد استولى الاتراك على هذه المدينة منذ خمسين عام (1546) بعد ان حكمها طاغية عربي.

ليس هناك الكثـير استطيع ذكـره عن عادات الناس وملابسـهم حيث انهم عرب واتراك، ويتعامل الناس بـكل انواع النقود فضة وذهب مع ان العملة المضروبة محليا من الفضة والنحاس.

اما العـملة الفضـية وتسمى اللارية (نسـبة الى مـدينة لار في فارس والتي ضربت اول عـمله بهذا الشكل فيـها) فهى عـمله مستطيلة مـتينه الطرفين وتساوى فى الوقت الحاضر عشرة بنسات.

اما العملة الثانية فهى مستديرة وتسمى «شاهى» وتشابه عملة الريال ولكنها اقل اتقان من العملة الفضية.

ليس فى البصرة مباني ذات اهمية ولكنها تحتوى على عدة حمامات اهلية نظيفة وفى حالة جيدة ومربحة ويستخدمها الرجال فى الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت.

تخترق القناة الصناعية ارض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين واخبرنى احد المعمرين ان هذه القناة كانت تصل الى ثلاثين فرسخا داخل البصرة ولكنها اقصر من ذلك الآن.

فى احد الايام دُعيتُ الى مقابلة احد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيرا من الاراضى التى مررت بها بعد ذلك، وكان يدعى الشيخ محمد ابن رشيد وكان رجلا يستحق مركزا اعلى من ما هو فيه.

ولقد حدثنى هذا الشيخ بواسطة مترجم واخبرنى انه لم يشاهد افرنجيا من قبل (اسم يطلق على المسيحيين الاوروبيين انذاك) وقد تعجب لمظهرى وملابسى وتصرفاتي، وبعد وجبة من لحم الخراف (الغير مطبوخ جيدا) استأذنت فى الانصراف وفى طريق عودتى قام ركاب السفينة بالصلاة بعد ان مررنا قرب مبنى صغير يشبه صومعة وأُخبرت بأنه مزار لعيسى بن مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به وقف لصيانته ورعايته(1).

غادرت السفينة فى مداركة وعدت الى اليابسة عن طريق قناة يجرى فيها ماء عذب واعتقد ان عمقها كان باعين الى ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل والخضار وبعد مسيرة فرسخ واحد وصلت الى البصرة.

(1) يوجد فى البصرة بعض المسيحيين واليهود والذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف تقريباً.

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين جنوبى نقطة التقاء دجلة والفرات وتتصل بهما عن طريق قناة العشار.

تقع هذه المدينة فى منطقة مستوية من الارض وتحتوى على عشرة آلاف مسكن بما فى ذلك المساكن الواقعة داخل اسوارها ومساكنها كبيرة ولكن ينقصها الجمال المعماري ومبنية بالطوب المحروق الذى لا يبقى اكثر من ثلاث سنوات فى الغالب.

اما بيوت السكان الفقراء فهى مبنية من البوص والسعف اما قلعة البصرة الكبيرة فهى فى حالة غير مصانة وقد تهدمت اغلب جدارانها، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن ان يملأ بالماء من القناة القريبة، ولقد وجدت ان اغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية.. وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل اغلبهم من العرب والاتراك والاكراد فرسان وحملة بنادق وقصر الباشا حاكم القلعة فى السلم والحرب ونقطة جمارك لجمع الضرائب.

الفصل الثالث

نشأة مملكة هرمز

شاهنامة توران شاه

نشأة مملكة هرمز - شاهنامة توران شاه

تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها حتى دخول البرتغاليين نقلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز.

اجاد الملك توران الشاه الشعر والنثر الفارسيين واستخدم هذه المقدرة الفائقة فى كتابة تاريخ نشأة مملكة هرمز وبداية ملوكها - ولقد اطلق على مخطوطة (الشاهنامة) - تاريخ الملوك - مبتدئا بأدم. ولكن سوف احذف بعض الصفحات من هذا المخطوط وادخل فى الموضوع المطلوب وهو نشأة المملكة وتاريخ ملوكها مع ابقاء ما هو مهم وحذف المادة العديمة الاهمية.

يذكر توران شاه وجهات نظر مختلفة فى نشأة المملكة وتاريخ اول ملك يحكمها ويترك الخيار للقارىء فى الاخذ بالنظرية المقنعة والتى تناسب ذوقة الادبى والتاريخى.

ويبدأ توران شاه قائلا: «فى البداية كان هناك امير عربى يسمى محمد ضرغام أو درام (كتبت هكذا) وهو من احفاد ملوك مملكة سبأ حيث كانت بلقيس والتى قامت بزيارة سليمان لقد اراد هذا الامير زيادة ملكه (كما هو حال الملوك) فقام باخضاع الدول المجاورة له وواصل مسيره حتى وصل الى الساحل المقابل للمضيق الذى نطلق عليه نحن البرتغاليين (مضيق هرمز) وهنا طلب هذا الامير من اتباعه العبور معه الى ارض فارس حيث كان فى نيته انشاء (بندر) يكون اعظم من صحار (الميناء العربى على الجهة العربية من مضيق هرمز والذى كان فى يوم من الأيام عامرا وقد اصابه الدمار والخراب الآن).

وبعد ان استشار الامير محـمد اتباعه توجه الى قليهات الميناء العربى على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو واتباعه الى جسك ومنها توجه شمالا الى كوهسـتاق (ميناء على الساحل الفارسى) وترك الامير محمد ابنه ووزيره فى قليهات واخبرهم فى حالة فشله ان ينشأوا ميناء فيها.

عندما وصل الامير محمـد الى كوهستاق وانزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له اخبـره الناس عن مكان غير بعيـد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم.

وجد الامير ان المكان مناسبا فاستـقر فيه وبنى المدينة (ويعتقد انه هو الذى سماها هرمز ووزع الارض على مرافقيه وضرب العملة التى حملت اسمه درامكو).

رافق الامير محمد ابنه سليمان والذى بفضله اتسعت المدينة وازدادت خيراتها.

حكم الامـير (الشاه مـحمـد) بالعدل والحـزم وكان لحكمـته وسـمو صفاته سببا لتحالف حكام المناطق المجاورة (مثل شيراز وكرمان) معه.

توفى الشاه محـمد بعد عدة سنوات من انشاء هـرمز وحكم بعده ابنه سليمان.

اما رواية توران شاه الثانية فهى كما يلى:

لقد كان والد الشاه مـحمد ملك فى الجزيرة العربية وقد خسـر معركة ضـد اعدائه واضطر لذلك تـرك جزيرة العـرب فعـبـر ميـاه الخليج الى مغسـتان (منطقة شرقى هرمز) استـقر هذا الملك مع ابنه فى ذلك الموقع الذى كان يحكمه حاكما طاغية.

وهنا تدخل بعض القصص المتداولة عن تخفى الابن فى لباس عروس جميلة ودخوله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الاهالى وانتصار الشاه محمد وتوليه الحكم.

ويعود الى الرواية الاول ويستكمل بقوله:

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والامن، وتوفى بعد سنين طويلة من الحكم لملكة هرمز، وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلا مثل ابيه ونصح رعاياه بزراعة الارض ووسع ملكه وتوفى تاركا الحكم لابنه ـ لاشكرى (العسكرى) ـ والذى راعى الفقراء وامتاز مثل والده بالعدل والحكمة وكان له عدة اولاد منهم كيكوباد الذى ظهرت عليه علامات الاماره فترك والده الحكم له وقضى باقى ايامه فى عزلة تامة الى ان توفى.

كان لاشكرى او العسكرى ابن عيسى مثل والده حكيما عادلا وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثانى حاكما لملكة هرمز وكان عيسى الثانى سادس حاكم لهذه المملكة.

امتاز عيسى الثانى بحروبه وتوسعاته والتى ادت الى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها.

بعد وفاة عيسى الثانى جاء محمد وكان له اولاد كثيرون ومنعا للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع اقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفى قلاع محصنه لا يتركونها الا بأذنه.

لذا نجد ان الشاه محمد ارسل ابن اخيه مير شهاب الدين مالنك الى قلعة قات والتى تقع فى فارس فى أراضى ابراهيمي(1) ومغوستان.

(1) ابراهيمي هى منطقة بندر ابراهيم أو خور ميناو شرق هرمز

لم يمنع ذلك من ان يقوم شهاب الدين بالتآمر على قتل الشاه محمد ولذا قام الاخير باعطاء التعليمات لقتل شهاب الدين الذى ما ان بلغته الاخبار حتى هرب الى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولدا سمى نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون.

توفى الشاه محمد فى هرمز دون ان يناله احد.

تولى ابن الشاه محمد من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل فى البحث عن شهاب الدين الى ان مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من ارضى (حير) بمهاجمة هرمز(1) فخرج شاهنشاه فى جيشه لمواجهة الاعداء.

عندما بلغ الخبر لمير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الاذن من والد زوجته متوجها هو ورجاله الى هرمز لمساعدة شاهنشاه الذى قتل فى المعركة مع الاعداء ونودى بشهاب الدين ملكا على هرمز.

انتصر شهاب الدين على اعدائه واستخلص منهم مملكته ـ بعدها زوج ابنته ست الخاتون الى الامير سيف الدين ابن قيصر ابن علي (اخ شهاب الدين) والذى كان حاكما لجزيرة قيس(2).

توفى علي بعد ذلك فى قيس وعملا بنصيحة شهاب الدين توجه الامير سيف الدين (زوج ابنته) الى قيس ليتوج ملكا عليها.

توفى بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهريار على زمام الملك فى هرمز.

---

(1) نعتقد ان هذا الهجوم هو هجوم المغول على فارس.

(2) قيس تسمى احياناً كيش

وبوفاة شـهاب الدين ثار اهالى جزيرة قـيس ضد الاميـر سيف الدين الذى هرب الى هرمز وخـرج اهاليها لاسـتقباله وهرب الوزير شـهريار الى قلعة (خمير) مع عشرة من رجـاله وواصل الامير سيف الدين زحفه عليها وقتل جميع من فيها فنودى به ملكا على هرمز.

كان اول عمل قـام به الامير سيف الدين تزويج بنات شـهريار الثلاث الى ثلاثة رجـال من بلاطه وبعـدها هجم على جزيرة قـيس لينتـقم من اهاليها وقتل الكثير منهم واخـذ زعماءهم رهائن معه. وفى طريق عودته توقف فى جـزيرة جرون او قـرون (والتى تسـمى الآن جزيرة هرمـز) وتسلق جبلا هناك وقتل عليه رهائنه ولذا سمى ذلك الجبل (جبل الرجال القتلى) او (كوه كوشتاران) وعاد بعـدها الى هرمز واستقر بها فى أمن وسـلام الى ان توفى وتولى بعـده (ابن اخـيه) المـسمى شـهـاب الدين محمود.

كان شـهاب الدين (ابن عيسى الثـانى) الملك الحادى عشر لمملكة هرمز وكان عادلا ورحيما فى حكمه.

بعد وفـاه شـهاب الدين محـمود تولى (ابن اخيـه) المسمى ركن الدين محمود الـسلطنة (ابن حمد) وقد ازدهرت هرمز اثناء فتـرة حكمه وكان لها جيـش قوى كتبت له الانتـصارات فى عدة معارك والتـى امتدت الى ضفار وحكم ركن الدين محمـود خمسا وثلاثين سنة وتولى حكم هرمز فى 676هـ الموافق 1287م.

تولى الامـير سـيف الدين نصـرت (ابن ركن الدين) والحاكم الثـالث عشر لمملكة هرمـز السلطة بعد وفاة ابيه ولكن قامت معـارضه قوية بين اخـوته لتوليـه السلطة وقـاد هذه المعارضـة اخـويه الامـير قطب الدين

تهماتان والامير معز الدين فولاد ورغم وقوف الجنود الى جانب سيف الدين نصرت الا ان اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (بيبى بانك) الى مغادرة مملكة هرمز توجهت بيبى بانك الى كرمان حيث قابلها السلطان جلال الدين سراج والذى احسن معاملتها وارسل جنوده مع ابنها سيف الدين واعاده الى عرشه فى مملكة هرمز ومع استمرار مقاومة اخويه استطاع سيف الدين اعتقال اخيه الامير معز الدين فولاد واعدامه.

وبعد هذه الحادثة قام اخوه الثانى الامير قطب الدين تهماتان وبمساعدة مالك ابن سيف الدين ابو بكر العونى بغزو هرمز ومحاربه سيف الدين نصرت وهزيمته فى (دنو)(1) مما ادى الى هرب سيف الدين الى (قمصره او كمزاره)(2).

ومن قمصره الى (لفت) والتى هى ميناء بحرى فى جزيرة بركت والتى تسمى الآن قشم او الجسم.

بعد هرب سيف الدين اختلف مالك مع قطب الدين تهماتان فقتل مالك ابن سيف الدين (قطب الدين تهماتان) فثار الناس والجنود واستدعوا سيف الدين نصرت ليحكم من جديد مملكة هرمز ويطرد مالك سيف الدين منها.

بعد عودة سيف الدين الى السلطة قام اثنان من باقى اخوته (الامير مسعود والامير طورخان شاه) بالتآمر عليه وقتلوه وقتلت معه امه بيبى بانك واخته بيبى عنايتى.

---

(1) و (2) لا نستطيع تحديد مركز دنو ولكن قمصره او كمزاره هى ميناء كمزار قرب رأس مسندم ولفت ميناء فى جزيرة قشم.

وكانت مدة حكمة اثنتى عشرة سنة وقتل فى 689هـ الموافق 1291 ميلادية.

تولى الامير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل اخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم.

التجأ الكثير من رجاله الى الامير بهاء الدين عياض سيفين (الوزير المعين فى ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لاخلاصه ووفائه) ومن هذا الميناء العربى توجه الامير بهاء الدين وجيشه الى هرمز وطرد منها الامير مسعود فخرج لاجئا الى كرمان ومنها الى سيرجان (الاسم الاخر لكرمان) حيث قضى فيها بعد ان حكم هرمز مدة ثلاث سنوات.

تولى الامير بهاء الدين سيفين امور المملكة واعاد تنظيمها وادارتها ولكن قام اخوة مسعود لمقاومته وخرج له مير طورخان شاه ومير سلجوق فى حزب معارض له وتراسلوا مع اخيهم مسعود من أجل اعادته الى هرمز ولكن تمكن منهم الامير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك الى ان دخلت القبائل التركية الغازية ارضي فارس فى 700هـ الموافق 1302م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سببا فى عودة الاتراك المتكررة لمهاجمتها حتى اضطر اهلها لتركها نهائيا الى مناطق اخرى.

ويعتقد هامر برجستال (Hammer Purgstall) بعد دراسة مخطوط (عبدالواصف) بان مملكة هرمز كانت تابعة لسلغر اتابك فارس وبعد سقوط آخر اتابك (محمد قلهاتى) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة واعلن نفسه حاكما على المملكة. وقام ابنه نصرت بقتل اخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غياث (احد مماليك الزوجة)

بالانتقـام لسيدته وسـاعده فى ذلك جلال الدين ملك كـرمان، ولكن فى النهاية هرب بهاء الدين الى جزيرة قيس وقابله المفتى جمال الدين مفتى فـارس واعطاه اثنتى عـشـرة الف قطعـة من الذهب (من ايرادات التـاج الفارسى) وذلك لتشكيل جـيشه الجديد وبعد هزيمة مسـعود توجه الى جـزيرة لارك وجمع مـبلغ الفين من التـوامين الذهب والفضـة واشيـاء اخرى ثمينة وتوجـه الى هرمز ونادى على المنبر باسم فخـر الدين احمد بن ابراهيم العـتيـبى قام المفـتى جمال الديـن الشيرازى (والـذى ذكرنا اسمه سابـقا والذى هو جامع ضرائب فارس) بالتوجـه الى هرمز حيث قـامت اضطرابات بينه وبين فـخـر الدين حاكم الجـزيرة وتحـولت هذه الاضطرابات الى مواجهات عسكرية بينهما.

لم يتدخل بهـاء الدين غيـاث لمساعدة صـديقة السابق (جـمال الدين) ولكنه ساعده فى النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته.

فى السنة التـاليـه (15 يوليـو 1296) وعندمـا اصبح جـمـال الدين مسئـول عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمـز مرة اخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين اخلاء الجزيرة.

وقام المفتى بمساعدة ركن الدين مسعود وقواته ولكن تصدى لها بهاء الدين غـياث وهزم بهـاء الدين السفن الحـربية الخـاصة بالمفـتى وركن الدين ولاحـقهـا الى جـزيرة قيس وقـام بنهـبهـا. لقـد أثر ذلك فى ملك الاسلام (المفتى جمال الـدين) وازداد قلقه على السفن التى سوف تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتى الصلح مع بهاء الدين غياث وفخر الدين العتيبى.

تبـدو هذه المعلومـات مـشـوشـة ولكن تم نـقلهـا كـمـا هى مكتـوبة بالانجليزية.

جزيرة قشم

تقع جزير قشم بمحاذاة الساحل الفارسى يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخا وعرضها اثنان الى ثلاثة فراسخ.

لقد امر غياث اهالى هرمز بالعبور الى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كلما استطاعوا حمله وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الاتراك.

وبعد استراحة عدة ايام قرر غياث البحث عن جزيرة اخرى ووصل الى جزيرة قاحلة على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون (حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه على ركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس الى الهند، مقابل الارز والملابس ارسل قارون الى غياث فى طلبه علما منه برغبته فى جزيرته ووصل غياث اليها وبعد معاينتها استقر الرأي على السكن فيها دون اخذ اذن من حاكم جزيرة قيس الذى كانت هذه الجزيرة والجزر الاخرى فى الخليج تابعه له.

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هى جزيرة صغيرة تقع فى وسط مضيق البصرة وفيها منابع الماء وكثرة الاخشاب وكانت الى وقت مضى مركزا للمملكة ولكن كسدت تجارتها بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقى والذين يقومون بأعمال القرصنة فى المياه المجاورة لجزيرة قيس والتى ادت الى تدهور التجارة التى كانت تعادل تجارة هرمز فى وفرتها وحجمها. كان ملك جزيرة قيس يسمى معين وحكم

جزيرة قارون ايضا وعين فيها شيخ للدين يسمى الشيخ اسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنويا لجمع الهبات له وللفقراء فى بلدته(1).

وبعد لقائه بغياث قام الامير بارساله الى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون او اعطاءها لغياث دون مقابل واستطاع الشيخ اسماعيل الحصول على الجزيرة لغياث واهالى هرمز هبة من معين اليهم ولكن اصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقدا واعترافا بفضل الشيخ اسماعيل اصبح من عادات ملوك هرمز اعطاء احفاده مصروف سنوى (وقد شاهدت ذلك انا بنفسى اكثر من مرة).

وبعد ان امتلك غياث جزيرة قارون اطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكي لا ينسى الجميع مملكتهم هرمز ولكن بقيت هذه الجزيرة فى ذاكرة العرب والفرس جزيرة قارون وكذلك لم تفقد هرمز الاصلية اسمها رغم اطلاق الاسم على الجزيرة بعد استقرار اهالى الأولى فيها.

ولكن يروى باروس قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث يقول (Barros)«ان ملك قيس كان موافقا على بيع جزيرة قارون (الى غوردنشاه) ولكن رفض بعض من اتباعه وزوجته عملية البيع بحجة ان هذه الجزيرة تتحكم فى مدخل المضيق ولكن تدخل القاضي الشيخ دينار (وتعنى هنا مفتى قيس) فقام ملك قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته باعطاء الجزيرة الى غوردنشاه ويقول باروس ان الرشاوى لعبت دورها الى جانب اعطاء الشيخ دينار مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه

---

(1) المقصود هنا الشاه اسماعيل الصفوي.

فى بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز يخصصون مصروفا سنويا لهذا المسجد حتى اليوم فى مدينه لار».

اما كوتو فيقول «ان المعارضة جاءت من ام ملك قيس وليس زوجته».

يقسم البحارة الهنود الخليج الى قسمين الأول منهما مضيق هرمز ويبدأ عند جوادر فى فارس وخليج عمان والثاني مضيق البصرة من هرمز او قارون الى مدينة البصره نفسها والتى تقع فى رأس الخليج حيث يلتقى دجلة بالفرات عندها ـ ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة فرسخ اما الثاني مائتا فرسخ تقريبا.

وتقع جزيرة هرمز او قارون (والتى يبلغ طولها ستة الى سبعة اميال على مسافة 5 اميال من شواطىء فارس ابتداء من دوسر وعلى بعد تسعة فراسخ من ارض الجزيرة العربية مع اختلاف الشواطىء على الجانبين فهى احسن للملاحة على الجانب الفارسي.

تحتوى جزيرة هرمز او قارون على بعض المعالم ذات الاهمية لذا سوف اذكر بعضها للقراء:

جزيرة هرمز بركانية لذا تغطيها الجبال العالية والصلبة فى كل اطرافها مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوى على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلى والبحرى والمفضل منهما البحرى حيث تأخذه السفن الى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (او بندران) شرقي وغربي طبيعيان وكأنهما قد تم حفرهما فى الصخور واهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر احسن قلعة فى الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفى مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه.

ورغم وجود ينابيع الماء الا انهـا كلها مالحة ولذا تُجـمع مياه الامطار وتخزن للأستعمال. ماعدا فى بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى (توران باغ) حـيث يوجد بهـا بئر تروى منه مـزارع الملك والوزير (توران باغ يعنى بسـتان توران) فى هذه البـقعة تنمـو اشجـار كثيـرة ولكن باقى الجزيرة يخلو من الاشـجار مع وجـود شجرة واحـدة تجدها كل مكان تسمى شـجرة الكنار وهي خضراء طيلة العـام وهناك ندرة شديدة فى الاعـشاب ويكاد يكون (السنامكـى) ويسمـيه بيـدرو (سنامن مكه) هو العـشب الطبي الوحيـد فيـها. ويصنع سكان الجـزيرة من الطين المالح اواني لحفظ الماء (قلل) يبرد فيها بطريقة مذهلة.

واذكر اننـى عندما كنت فى هرمـز فى عام 1596 كـان ملكها فـيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع فى غرام امـوال بيبي فاطمة (ارملة احد رعـاياه) والذي كـان يدعى رئيس بدر الـدين والذى كـان وزيراً فى موغستان فى فارس. حاولت بـيبي فاطمة خذلان ملك هرمز فطلبت منه ان يزرع بستـان جديد ويحفـر بئرا فى (توران باغ) علمـاً منها بأن هذا مستحـيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما امرته به بيـبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على اموالها.

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء يسميه اهالي هرمز (عبدالرحمن) ومـاؤه ذو فوائد طبية وشربه يسبب الاسـهال لذا يتوافد الاهالي فى موسم مـعين لشرب الماء منه وبعد نوبة الاسـهال يتناولون البـرتقال او الليـمون حـتى تخـرج حبـوب الثمـار مع الاسهـال عندها يعتقدون انه تم لهم الشفاء فيتوجهون الى تناول الوجبات الرئيسية.

يتوفـر الصيد الكثيـر فى هذه الجزيرة من الغزلان والطيـور واتعجب كيف تعـيش هذه المخلوقات فى مكـان لا يتوفر فـيه الماء العـذب وتوجد الذئاب ولا احد يعلم كيف تعيش فى هذه الجزيرة.

لقد كانت مدينة هرمز عامـرة قبل الان وقد ازيلت حاليا بعض المساكن من اجل بناء القلعـة اما المنازل البـاقية فـهى جيـده البناء واسـتـخدمت احجـار الجزيـرة فى بنائها وبعض الاحـجار قطعت من البـحر وتمـتاز بـخفتـها وتقاوم الزلازل التى تشتـهر بها الجزيرة ويستـخدم الاسمنت المسمى كج فى البناء ويجلب من الارض الفارســية لأن المحلي منه احمر اللون واقل جـودة وتستــخدم مـادة اخرى فى البناء يضـاف اليهـا الماء وتسـمى (صـاروج) وتجـمع هذه المادة على هيـئـة تلة وتحـرق الى ان يتـحول لونهـا الى الابيض ثم تضرب بواسطة مـجمـوعة من الـرجال العـرب (الذين يمتـهنون هذه المهنة) الـى ان تتحـول الى ذرات صـغـار تستخدم فورا والا تتحول الى مادة غير صالحة لو تركت اكثر من يوم دون استخدام.

ان مادة الصـاروج تقاوم الماء ولها استـدامة طويلة.. وتستـخدم هذه المادة فى بندر عباس ايضـا (جامبرون).

يمتاز اهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة. وتمتاز النساء فيها بالجمال ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليست بنفس القدرة التى على اليـابسة. بعض شـيـوخهـا سنة والبعض مـن اتباع الإمـام علي ولكن الغالبـية سنة وكذلك ملـوكهم. هذا وتتواجـد جنسيات ومـذاهب اخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين واليهود والوثنيين، والبانيان

واليعقوبيين واما عن الجنسيات فهم من البرتغال والارمن واهالي جورجيا (الجرجان) والبنغاليين والكامبين (من ميناء كامبى او كامبايا).

ورغم عدم وجود المنتوجات الزراعية على الجزيرة الا ان عملية الاستيراد كبيرة وباسعار معقولة ويباع كل شيء بالوزن، مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الامراض فيها وخاصة فى الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد الامراض من الابدان. ولكن تكثر الامراض فى الخريف.

وختاما فأن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل انواع السلع التى تجلب اليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا واننى سوف اعود الآن الى موضوعي الأصلي نشأة هرمز ويقال ان نشأة الجزيرة مرتبط باسمها الذي اطلق عليها فى عام 700 هـ 1302م ولقد نمت وتمتعت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الاجزاء الاخرى فى فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها الى البصرة.

وبقيت على هذا المستوى الى ان دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (يبدو ان بيدرو تيخسيرا يذكر الحقيقه هنا ولكن يحاول ان يتحاشى المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديجو مونس برتو (Diego munis barreto) ليغطي على ذلك.

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشرة سنوات ويقال انه توفى فى نهاية هذه الفترة (فى عام 711هـ الموافق 1312م) وفى حكاية اخرى انه بعد استتباب امور هرمز تنازل عن الملك الى عز الدين غوردنشاه ابن

سلغر وبيبي زينب وحفيد الملوك الاوائل وعاد غياث بعد ذلك الى ولايته وزيرا فى قليهات وتوفى بها.

- ان لقب بيبي والذي ذكرته عدة مرات يعنى بالفارسية السيدة -

يعتبر الامير عز الدين غور دنشاه ثاني ملك لهرمز فى عهدها الجديد والسادس عشر فى عهدها القديم (ويعتبر كوتو وباروس ان هرمز اعلنت استقلالها فى عهد عز الدين غوردنشاه عن السلطة العربية والفارسية)وبعد توليه السلطة ارسل سفراءه الى جزيرة قيس للملك معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح فى عام 714 هـ الموافق 1315م وحاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة هرمز مرة اخرى ولكن تمكن غوردنشاه من التحصن وتوفير المؤن الازمة حتى ان الاسعار لم تتغير اثناء فترة الحصار ولم يكن هناك نقص فى الغذاء وبعد حصار دام اربعة اشهر طلب ملك قيس الصلح ولكنه كانت له نوايا سيئة فى ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل الجزيرة نزل ملك قيس فى انتظار ملك هرمز وما ان وصل الاخير حتى حمله الأول (حيث كان قويا جدا) الى طراده (سفينته) وهرب به الى جزيرة قيس امام انظار اهالي هرمز.

عندما وصل الخبر الى زوجة غوردنشاه (بيبي سلطان) طلبت من ملك غياث الدين دينار ابن اخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم فى الجزيرة، وبعد خمسة اشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح طراده وفى منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة اغرقت السفن وتحطمت السفينة التى تقل غوردرنشاه على سواحل هرمز فأنقذه

الناس ولكن لم يتنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردنشاه الى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص السكرتير الخاص لغوردنشاه ـ ونظراً لعدم اطمأنانه انتقل فى نفس الليلة الى الاراضي الفارسية واستقر فى قلعة ميناب.

جمع غوردنشاه جيوشه بمساعدة الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وعندما بلغت اخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه الى ميناء سرميون (باسيدو اوباسعيدو) فى جزيرة قشم لكى يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله الى هناك بلغته اخبار السفن العشر التابعة لملك قيس والقادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه الى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية فى جزيرة هرمز.

ضربت القوات الغازية (مائة وعشرون سفينة) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ الباقي منها الى جزيرة هنجام.

عندما بلغت انباء استيلاء غورد نشاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهته.

فاستعد له غوررنشاه فى اثنا عشر الف من جنوده ونزل بهم الى ساحل جيرو (او شيرو) وهزم ملك قيس مع فقدان الاخير لكثير من السفن والرجال فلحق به غوردنشاه بعد استماعه لنصيحة قائده البحري سلغر صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس.

عندما بلغت الاخبار ملك غياث الدين ورأى ان رجاله تخلوا عنه الى غوردنشاه هرب الى مكران (مملكه بين فارس والسند).

فجاء الامير عز الدين غوردنشاه الى جزيرة هرمز وبقى فيها سنتين وتوفى فى 717 هـ الموافق 1318م.

تولى الامير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردنشاه امور المملكة بعد وفاة ابيه وكان الملك السابع عشر لهذه الامارة ولكن اتفق الجنود فى الحامية الواقعة على اليابسة ان يعينوا اخيه الشاه قطب الدين مكانه واتوا به من بركه (اقرب موقع بهذا الاسم بركة بندر او بركة ميرزاى) الى ميناب.

خرج بهرام شاه لمواجهة اخيه قطب الدين فوجده مع اخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد الى هرمز.

وكان كبار قادته مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الأول فى البحر والثاني فى البر وقد اثارهما الحسد فقاما بإثارة الاضطرابات فى المملكة مما ادى الى اعتقالهما، وهجم رجال قيس مرة اخرى على الجزيرة ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة. وفى اثناء الموقعة اضطر بهرام شاه لاطلاق سراح السجينين وتوجه لملاقاة اخويه مرة اخرى حيث اثارا المتاعب من جديد ولكن ولسوء الاحوال الجوية عاد الى منزله فى الليل.

فى منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين يوسف الى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعيا ان بيبي سلطان سلغر قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه واخيه نظام الدين

عجم شاه، فالقى القبض عليهم جميعا واخذهم الى السجن واعلن نفسه ملكا على الجزيرة وكان ذلك فى 718 هـ الموافق 1319م.

فأنقسم الناس الى مجموعتين الأولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين اخ الملك المسجون ـ انتهز ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعيا انه جاء لمساعده ميرشاه قطب الدين ولكن بعد وصوله الى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (مجموعة مير شهاب الدين يوسف) ـ قامت بيبي سلطان اخت دينار وبيبي نظام الملك زوجه مير شهاب الدين يوسف بمساعى للصلح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وامه واخيه لكي يبقى الملك له وحده ـ فتوجه شهاب الدين الى قليهات مع بيبي مريم زوجة (عياض) غياث سيفين، وسمع شهاب الدين يوسف ان رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو الجزيرة فتوجه لملاقاتهم ولكنه خاف مواجهتهم فعاد ادراجه الى مملكته.

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهات مع الملك جلال الدين قويس (اوتونيري) ومعهم خواجه جمال الدين نعيم واخذ هرمز فى غفلة وزج بشهاب الدين يوسف فى السجن.

فقام مير شهاب الدين ابن غوردنشاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنيه مير عماد الدين أوسين، واخاه الامير أوسين وكان الجميع سجناء فى قلعة (جنر او جتان) ولكن بعد فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم (واللذان اعادا الشاه قطب الدين الى

مملكة هرمز) بالتـآمر عليه لتـولى امور المملكة بدل منه ولكن بلغه خـبر المؤامرة فـهربا وغرق جمـال الدين نعيم فى البحر امـا ملك جلال الدين قويس التجأ الى جزيرة قيس وبقى الشاه قطب الدين فى مملكته هرمز فى أمن وسلام لمدة عشر سنوات.

لقد توفى ملك قيس العجوز و تبـعه فى الحكم ملك غياث الدين وغزى هرمز فى جيش عظيم اثناء فترة الصيف حيث يقضى الشاه قطب الدين هذه الفتـرة فى موغستـان على اليابسة هربا من حرارة الجـو فى هرمز ولكن قام مـحمد سـوركاب وابراهيم سلغر (قـادة قطب الدين) بالدفاع عن القلعة وردوا الجـيش المهاجم فتـوجه شاه قطـب الدين الى جزيرته واعد اسطول ظخم لـمهاجمـة جزيرة قيس انتـقام من ملكهـا وبالفعل تم الهجوم وتكبـدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمـار الشامل واخذ ملكها غياث الدين اسيرا وقتل هو وبعض من اتباعه.

وقام الشـاه قطب الدين بتحـصين جزيرة قـيس وترك فيهـا حامـية كبيرة وتوجـه بعدها فى طريق عودته وفتح جزيرة البـحرين المشهورة بلؤلؤها ومائهـا العذب الذي ينبع من البحـر وسوف اقوم بتقـديم شرح عنها (وكان ذلك حوالي 1330م).

جزيرة البحرين

تقع البحرين فى مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون او هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة بينهما وبينها متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين الى كل موقع من المواقع المذكورة (هرمز والبصرة) وهي قريبة من ساحل جزيرة العرب ومقابلة للقطيف والتى تقع فى الاحساء المنطقة التابعة للأتراك وكل سكان البحرين من العرب ماعدا وزيرها الفارسي وحاميته الفارسيه وهي تابعة الآن لملك هرمز ولكن وفى عام 1602 قام الشاه الفارسي بامتلاكها بالخيانة.

يكتب السير روبرت شيرلي فى اكتوبر 1614 الى شركة الهند الشرقية قائلا «البحرين جزيرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد اربعين فرسخا من الساحل ومنتوجها الرئيسي اللؤلؤ والذي يعتبر احسن لؤلؤ فى العالم وقد اخذها ملك فارسي من البرتغاليين وترك فيها حامية تتكون من 800 جندي فارسي وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتى تجعل الملاحة فى مياهها صعبة جدا».

ويكتب توماس بويس الى اللورد سالسبرى قائلا:

(فى 10 يونيو 1609) «اخذت جزيرة البحرين بواسطة ملك فارسي منذ ست سنوات اي (1603).

ويؤرخ مؤرخ ثالث ذلك الحدث قائلا بعد ان قام وزير البحرين بقتل احد التجار فيها واستولى على لآلئه قام اخ القتيل وقتل الوزير منتقماً لمقتل اخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس وقرر قائد هرمز دى بيدرو كوتينهو (D. pedro Cotinho) ارسال اسطول تحت قيادة دى ـ فرنسيسكو سوتامايز -(D. Francisco desotomayar) لاستعادة البحرين.

وارسل وزير من هرمز (او رئيس من هرمز) عن طريق البر لنفس الغرض.

فلما بلغ النبأ حاكم شيراز الله وردى خان ارسل جيشا كبيرا تحت قيادة ادم سلطان ليحاصر ميناء جامبرون (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال انظارهم عن البحرين وفعلا كاد البرتغال ان يستعيدوا البحرين ولكن ونتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك فى الهند (نتيجة وشايه) وتعيين قائد جديد (دييجو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي اصيب بالمرض نتيجة لتفشى الحمى به وبجنوده البرتغاليين المهاجمين واصرار اهل البحرين فى الدفاع عنها كل ذلك ادى الى فشل مهمة القائد البحرى caspardemello de-

sampaio (جاسبردوميلو ديسامبايو) (يبدو ان هذا ثاني قائد ترسله هرمز الى البحرين)

ويروى جويفا (Gaouvea) انه ما ان بلغت انباء الاسطول البرتـغالي المتوجه من الهند الى البحرين في عام 1603 تحت قيـادة دى ـ جورج ـ دى كاستلبرانكو (D. George. d. Castelbranco) قام الله ورديي خان بارسال اسـطوله لمحاصرة بندر عباس (جامـبرون) و احتلال مناطق فى هرمـز تابعـة لملكها. ولـكن أمره الشـاه بالعـودة الى شيـراز واعـادة البحـرين الى البرتغاليين ولكن هذا الامر لم ينفذ. (هذه معلومات خاطئة).

وفى رسـالة مؤرخـة 25 فبراير 1605 يـبدى ملك اسـبانيـا مخاوفـه من احتـلال الاتراك للبحرين ويأمر نائب الملك فى الهند بأن يقوم باستـرجاع الجزيرة من الفرس وان يأخذها بالقوة او بالرشـوة لقائد الحـاميـه حتى يتم تسليم قـلعتـها الى البـرتغاليين ويواصل الملك اهـتمـامه بالجزيرة فى رسائل لاحقه لنوابه فى الهند وكانت آخر رساله بهذا الصدد فى 21 مارس 1617 ولكن بسقوط هرمز فى 1622 سقطت معها احلام البرتغاليين فى استرجاع البحرين.

ان تراب البحرين خصب ومنتج وخاصـة لأشجار التمور والتى توجد بكثرة فى هذه الجزيرة ويوجد قليل من القمح ولكن الكثير من الشعير.

وتعتبـر الوجبة الرئيسـية فى البحرين الارز ويسـتورد من الهند عن طريق هرمز.

وتوجد آبار فى البحرين ولكن اغلبها ليس عذبا ومع ذلك يصلح ماؤها للشرب، واحـسن هذه الآبار (حنينيه) وهذا البئر عـميق ويقع فى وسط الجزيرة وتأتى بعـده فى الجودة تلك الينابيع التى تتـواجد تحت سطح البحر.

وفى مدينة المنامة (المدينة الرئيسية فى الجزيرة) وعلى عمق باعين او ثلاثة من سطح البـحر توجـد ينابيع المياه العـذبة ويقوم بعض الـرجال بملء جلد الماعز منهـا ويعتبـر البعض منهم هذه العمليـة وسيلة للرزق طول النهار واخـبرني احد المعـمرين فى البحريـن ان هذه الينابيع كانت على اليابسـة ولكن مع مضى الوقت غـمرها البـحر واعتـقد ان من هذه

الينابيع اخذت الجزيرة اسمها (البحرين) وربما يكون رمزاً لمجريين من الماء يمران فى الجزيرة ولكن اعتقد ان التسمية الأولى اصح.

تشتهر البحرين باللؤلؤ وسوف اعطى ايجازا عن طريقة صيده. توجد فى الشرق مصائد اللؤلؤ واشهرها تلك التى فى الخليج والاخرى فى منار فى الهند وذلك هو الموقع الذي بين جزيرة سيلان وجزء من شبه القارة الهندية يسمى (توتان كورى) باللهجة المحلية ولكن نسميه نحن البرتغاليين (كوموري) ويلى هذا المكان بندر كورو منه تصدر انواع الارز (فى البنغال).

يبدأ الغوص فى البحرين فى شهر يونيو واحيانا فى يوليو ويستمر حتى شهر اغسطس ويتكون اسطول الغوص من مائتي سفينة او ربما اقل مائة من البحرين وخمسون من جلفار (رأس الخيمة) وخمسون من نخيلو وتتجه هذه السفن الى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد الاصداف تفتح لازالة اللؤلؤ منها وتمتاز لآلىء البحرين بالجودة والوزن الثقيل ولو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة من البحرين نجد ان وزن البحرينية اكبر.

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ فى البحرين خمسمائة الف (دكتا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيدا عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب - وتدفع البحرين سنويا الى قائد هرمز مبلغ اربعة الآف دكتا ضرائب من ايرادات اللؤلؤ فيها. (يبدو ان ذلك قبل دخول الفرس الى البحرين).

وتستخدم اوزان القيراط والمثقال فى عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل اربعة وعشرين قيراطا مثقالا واحدا - ويعادل المثقال عشرين او ثلاثين او حتى اربعين لؤلؤة صغيرة.

ويغوص الغواص فى البحرين بعد ربط الحجر فى قدمه وعلى عمق اثني عشر الى خمسة عشر باعا.

هذا وهناك مغاصات اخرى تستخدم فى شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار واخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع فى بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة.

اما عن المغاصات الشرقية الاخرى فهى تسمى شيلاو (على بعد ثمانية واربعين ميلا من كولومبو) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء فى جزيرة سيلان فى السابق وتعنى هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتى يطلق عليها لهجة الشانجلا.

ويدخل موسم الغوص فى سيلان فى شهر ابريل وبداية مايو وذلك حوالي شهر او شهرين قبل بداية موسم الغوص فى البحرين . وذلك لأن الصيف يأتى مبكرا الى سيلان عنه فى البحرين والبحر يكون هادئا ـ ويتكون اسطول سيلان من اربعمائه الى خمسمائه سفينة تحمل كل سفينة من ستين الى تسعين بحاراً ثلثهم (كروة) (غيص) والباقون مانديسا (السيب) ويكون كل اثنين منهم لغواص واحد وتنقسم السفينة الى عدة اجزاء تسمى (بتاقا) وتعنى حجرة او جزءا من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حدة عن غيره ويسمون المحار (شيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد وتستمر عملية فتح الاصداف ستة عشر يوما (ثمانية ايام لكل مجموعة). وتصطاد كل سفينة يوميا من مائة الى الف محارة ولا يحاولون اصطياد اكثر من ذلك محافظة على اسعار اللؤلؤ.

وبعد مضى ستة عشر يوما اذا كـان الصيد غير كاف تمدد الفترة الى نصف (بيلو) اربعـة ايام او بيلو كـامل (8 أيام) ويكافأ الغـيص يوميـا لقـيامـه بعمله (اى يـعطى نقودا مـقابل العـمل) ويعطون مـا يصطاده الغيص فى غطسـة واحدة لربان السفينـة ويحتفظ بالباقي لنفسـه (لذا توضع كل مـجموعـة على حدة) ويقـرر ربان السفـينة المجمـوعة التى يختارها لنفسه، هذا وفى نهاية كل اسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيد يوم كامل لحـاكم المدينة (مدينة مدوره) وكانت فى السـابق تقدم كميـة لزوجة قائد الحامية البرتغـالي ولكن اوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤوسـاء الشركـة (اليسـوعين) والذين يديرون منذ بداية القرن السـابع عـشر الامور التجـارية والدينية لسكان السـاحل الشمـال غربي للجزيرة رغم معـارضة (الرهبان الفرنسيكان) ولقد اوقف اليـسوعيون ما كان يقوم بـه القائد البرتغالي لمخالفتـه للنظام. ويغوص الغواص الى عمق عـشرة ابواع وتشـارك سفينتـان برتغاليـتان فى حـماية اسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار ـ ويشترك ما يقارب من خمسين الى ستين الفـاً من التجار والبحـارة وصيادي الاسماك والخـدم فى موسم الغـوص ويقيـمون فى مـعسكرات مـتنقلة وتبلغ ايرادات اللؤلؤ مليـون ونصف من العملات الذهبية كل عام.

وبعد انتهـاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحـار وتلتقط اللآلىء

ولكن يعلق باروس (Barros) ان شيلاو تعنى سالابام بلغة التاميل ومعناها الغوص.

اما السنهـاليون فيـقولون بندر هالغاتا (بندر صلوات) كـما يسمـيه ابن بطوطه اما التـاميل فيقولون سالابام وتعنى مصائد اللؤلؤ.

ان وجدت فى المحار وتؤخذ الى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من شهر يونيو حتى اكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (الچو) وتباع اللآلىء فى مبانى مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالين تابعين لحاكم البلاد (النايك) حيث يأخذ 4٪ من سعر البيع ولا يأخذ اي شيء من المشترى. وللمشترى حق تغير رأيه بعد يومين دون جزاء.

الى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية فى اللؤلؤ المهرب تحاشياً من ضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الچو) ايضا.

وتوجد لآلىء فى الصين ولكنها ليست بنفس الجودة وتسمى (توبوس) (اغطية) لاشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا استطيع ان اتفق معهم فى الرأى القائل بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحاره حيث انه لا يعقل ان تطفو هذه المحارة الثقيلة الى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم ايضا انه كلما كانت المحاره على عمق اكبر كلما كانت اللؤلؤه اكثر جودة.

ولقد وجدنا انا واليسوعيين والوثنيين العاملين فى صيد اللؤلؤ ان هناك جزءا من المحارة لو قطع وصقل يتحول الى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة ولذا اؤكد ان اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة بسبب او آخر ويساعدني فى هذه الفرضية بأن تركيب اللؤلؤة هو نفس تركيب المحارة الحاوية لها.

ولكن اتعجب من الاطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ فى الوصفات الطبية.

بعد هذا العرض الكامل والذي ادخله بيدرو تيخسيرا في سياق الحديث من غزو البحرين يعود الآن الى مملكة هرمز مرة اخرى.

عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (جزيرة تجاه شط العرب) وربما – هندرابي– واصبح سيد الشواطىء الخليجية العربية والفارسية واصبح له دخل مادي كبير.

وكان لشاه قطب الدين اخ يسمى نظام الدين والذي احبه كثيرا ولكن كان الأخير يتآمر على اخيه قطب الدين.

رافق نظام الدين اخيه الملك قطب الدين في رحلة صيد الى اليابسة في منطقة (رودخانه سور) (نهر الملح) في اتجاه (سريدون) فانتهز نظام الدين الفرصه مدعيا انه يطارد ارنب برى واتجه هو ورجاله الى (دوسر)مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد الى هرمز وسقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في معية الملك في الصيد. فعاد الملك الى الساحل المقابل واستقر في (كولجهان) واخذ يستعد للعبور الى جزيرة هرمز وكان ذلك في 745هـ او 1345م.

وبعد استقرار نظام الدين في هرمز ارسل الى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له واعدا اياهم بالهدايا والمكافآت. لم يستجب الولاة لهذا الطلب ماعدا (هيراهتان) والتى طلبت منه في الصيف ارسال دعم عسكري يساعد الاهالي ضد هجمات رجال قطب الدِّين مهددين انه فيما لو تأخر هذا الدعم فانهم سوف يتحولون الى قطب الدين.

قرر نظام الدين العبور الى اليابسة للدفاع عن مناطق نفوذه مستعينا

بوزراء قطب الدين وقيادته العسكرية ولكن رفض الجميع مساعدته ماعدا (عمر ضياء الدين) حارس البوابة واحد القادة الكبار والذي اعلن ولاءه لنظام الدين.

بعد ذلك عبر نظام الدين الى اليابسة وتوجه الى منطقة كولجهان فتقابل الجيشان جيش نظام الدين وجيش قطب الدين وكان عمر ضياء الدين وبقية الجيش في صف نظام الدين لذا قرر قطب الدين شاه التراجع الى (اسكونير) (منطقة قرب الساحل وعلى بعد اربعين فرسخا من ارض المعركة) وعبر البحر الى قليهات في جزيرة العرب وبقى هناك سنة واحدة. كان انتقال قطب الدين الى قليهات بادرة انتعاش اقتصادي حيث تحولت السفن القادمة من الهند الى قليهات بدل هرمز.

«يذكر ابن بطوطة بانه عندما كان في ظفار بلغه ان السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم عليها في اسطول عظيم ولكن ارسل الله عليه عاصفة حطمت سفنه ولذا عقد الصلح مع ملك ظفار بدل احتلالها» وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره بيدرو تخسيرا..

بعد استقرار قطب الدين في قليهات وصلته انباء عن موت نظام الدين وانه قد اوصى ابنيه شمبه وشادى بالتوجه الى قليهات وارجاع المملكة الى قطب الدين مرة اخرى ولكن لم يفعلا ذلك (وحسب رواية ابن بطوطة ان نظام الدين مات مسموما) اقام قطب الدين العزاء لاخيه وارسل رسائل تعزية مؤثرة الى ابنى اخيه يخبرهما فيها انه يعتبرهما مثل اولاده.. ولكن لم يهتم الابناء لذلك وقاموا بالضغط على الاهالي والطغيان واصبح وجودهما خرابا للمملكة.

عندما علم قطب الدين بذلك جهـز اسطوله وتوجه الى جكن (ميناء قرب جسك) وكانت مسكونة بالاعراب ودخل اسطوله في معركة مع اسطول ابن اخيه فـهُزم اسطول هرمز وهزم ابن اخيه فعـاد قطب الدين منتصرا من المعـركة الى «كـوسـتك» حيث قـابله ايوب شـمس الدين احد قـادته البحـريين ومعــه دعم عسكري من هـرمز لمساعـدته فاتجـه قطب الدين ومعـه الاسطول الى هرمز ووصل الى مـيناء (قارون في شـرق هرمز) عندها سلم ابنا أخيــه نفسيهمـا اليه وذلك بشرط الابقاء على روحيـهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما الى البحرين.

اعاد قطب الدين تنظيم امـور الجزيرة واعاد اسعار المـواد الغذائية الى سـابق عهـدها وسمح للـهاربين والمنفـيين بالعـودة اليهـا واعاد اليـهم املاكهم ولكن مـا ان وصل الأخوان الى البحرين قاما بالاسـتعداد مرة اخرى لغزو هرمز.

قـام السلطان قطب الدين بالاسـتعـداد من جانـبه لدخـول البحـرين «ويؤكد ابن بطوطة ذلك قـائلا عندما دخلنا هرمـز وجدنا السلطان قطب الدين تهمـاتان ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعـد للحرب ضد ابنى اخيه نظام الدين وكان كل ليـلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين محمد ابن علي القاضـي امام الدين الشونكري. وجاء الكثـيـر من الرجـال لزيارتي ولكن اعـتـذروا في الرحـيل لانشـغـالهم باستعدادات الحـرب وبقينا ستة عشر يوما وبعـد مقابلة السلطان وابن اختـه على شاه ابن جـلال الدين. ولقد ادى استـلام نظام الدين السلطة بالانقـلاب على اخيـه قطب الدين (اثناء غـيـاب الاخيـر عن المدينة) الى

حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابنى اخيه جزءا منها وقد استقر قطب الدين في قليهات وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من اخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل الى ان قرر ارسال رسول منه الى زوجة اخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموما وقرر عندها قطب الدين العودة الى هرمز فهرب ابني اخيه مع ثروات كبيرة الى جزيرة قيس وقاموا من هناك باعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة الى هرمز ودمروا جزءا كبيرا من تجارتها.

اننا وبالاشارة الى ما يذكره ابن بطوطة نجد ان هناك تقاربا في الاحداث ماعدا اننا تستطيع ان نؤكد ان التاريخ الذي يذكره ابن بطوطه لزيارته ربما كان 1346 ـ او 1347م ولكنه يذكر انه ترك اليمن لزيارة مكة في 732هـ الموافق 1332م وزار هرمز بعد عدة سنوات قادما من الصين ونعتقد انها كانت 1347م ولكنه لا يذكر اي شيء عن الثلاثة الايام التى قضاها في هرمز في زيارة ثانية».

نواصل مذكرات بيدرو تخسيرا قائلا ان السلطان قطب الدين توجه الى ملاقاة ابني اخيه ودخل جزيرة قيس حيث كان يقيم شادي والذي انتصر في الحرب ضد جيش عمه السلطان.

توجه السلطان مرة اخرى الى هرمز وعاد للهجوم على قيس ولكنه لم يجد شادي بها حيث توجه الى البحرين لملاقاة اخيه شنبه فدخل قطب الدين جزيرة قيس وسلبها وترك بها حامية كبيرة وعاد الى هرمز ليستعد لغزو البحرين.

عندما علم شادى وشنبه ما جرى لجزيرة قيس توجها من البحرين اليها بقصد استرجاعها ولكن وفي منتصف الطريق هجرهما جنودهما وقادتهما والتحقوا بالملك واشهر هؤلاء القادة شمس الدين محمود وكمال الدين اسماعيل ونصر الدين مصلح وهم من الزعماء الكبار.

وقبل توجههم الى هرمز مروا بجزيرة قيس وانذروا حاكمها ميرطاهه باحتمال وصول اسطول البحرين. ومن هناك توجهوا الى لفت في جزيرة قشم واخذوا معهم مير سابق الدين «قائد قلعتها» الى هرمز خوفا من هجوم الاسطول القادم للحرب.

لم يتراجع الاخوان شنبه وشادي فابحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لهما بالتوقف فيها فواصلا الابحار الى لفت.

ارسل ملك هرمز قواته الى المقدمة لملاقاة اسطول البحرين وتوقفت هذه القوات في ميناء (دارجون) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البرى والبحري وهزم اسطول الاخوين والذي اضطر الى العودة بعد خسائر كبيرة الى جزيرة البحرين وبعد وصولهما الى البحرين ابتدأ الصراع بينهما كل يتهم الاخر بسبب الهزيمة التى حلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لو لا تدخل والدتهما في ذلك والتى قامت باطلاق سراح ابنها شنبه.

وما ان اطلق سراح شنبه حتى توجه الى قرية قرب شيراز (تدعى فال) واستقر بها وهذه قرية جاء منها كل وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين ونور الدين وبدر الدين «يبدو ان ملوك هرمز اختاروا وزراءهم من طائفة (الخواجه) والتى استقرت اصلا في قرية فال، والرئيس

والرؤساء هم حكام وعلى جميع المستويات ويخضعون لملك هرمز اما الشريف او الاشراف فهم خزنة الملك».

لما ادرك حاكم شيراز شخصية الرجل المقيم في فال ارسل في طلبه واكرمه وعامله معاملة عظيمة.

وعندما جاء الصيف توجه الشاه قطب الدين ملك هرمز ومرافقوه في البلاط الى نخلستان (في مغوستان) على الارض الفارسية حيث تكثر الاشجار والمياه العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف ولكن توفاه الاجل هناك بعد عدة ايام من وصوله وكان ذلك في 747هـ الموافق 1347م.

بعد وفاة الأب تولى الابن توران شاه ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو الذي كتب الشاهنامة الخاصة بهرمز وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس بالصورة التى اقدمها الآن وكان ملكا متواضعا احبه الناس وما ان تولى اماره هرمز حتى ارسل حاكما نائبا عنه الى جزيرة قيس (محمود عمر) رجل شجاع وذو كفاءة ادارية وخبرة طويلة.. ومع علم شادي في البحرين بشجاعة واقدام محمود عمر في قيس فإنه لم يتراجع عن محاولة دخولها باسطوله مرة اخرى والتى تبعها عملية التآمر التى قام بها مع احد اقارب محمود عمر للنيل منه فى الفرصة السانحة فقام شادي بطلب الصلح ورغب في لقاء محمود عمر من اجل ذلك وعندما تم اللقاء جاء شادي الى المكان المخصص واستطاع ان يعزل محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه وسمل عينيه وكانت هذه العملية من الوسائل التى يمارسها ملوك فارس وهرمز انتقاما من المناوئين لهم وخاصة من اقربائهم. وفي هرمز كان هناك برج قريب من

(دير سانتا لوسيا) الآن، هذا البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ ذلك الحكم فيهم من اقارب ملوك هرمز وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج وبعد ذلك يتم تقريبه من عيون المحكوم عليه، وتؤدي الحرارة والتوهج الى تلف عصب العين مع بقاء العين كما هي دون وجود اية جروح او اصابات خارجية.

وبعد ان عمى محمود عمر اصبح شادي حاكم قيس المطلق فارسل ملك هرمز اسطوله الى قيس لاعتقال شادي ولكن وبرغم الحصار المضروب على الجزيرة استطاع الفرار والتوجه الى لفت في جزيرة قشم فوصل الملك الى ميناء دار جون قرب لفت وهناك تخلى اصدقاء شادى عنه والتحقوا بمعية الملك فهرب شادي مرة اخرى الى البحرين وتوفى بعد وصوله اليها فقام توران شاه بتولية ابن شادي على البحرين.

ما ان بلغت انباء وفاة شادي الى اخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعا الى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد اخيه ضده وقتل الكثيرين ولم يسلم من ذلك حتى الاطفال (قتل ولي العهد والذي كان طفلا انذاك) وهرب الكثيرون من الجزيرة فتصدى له (ميرعجب) ومرافقيه وعائلته وهجموا على منزل شنبه وقتلوه.

بعد مقتل شنبه تم اطلاق احد الزعماء المسجونين (محمد البهلوان) وطلب منه مير عجب ان يتنازل اليه (اي الى ميرعجب) بحكم البحرين ولكن رفض البهلوان ذلك وتوجه الى قلعة القطيف برفقة زعيم عربي اخر من (الصفاف او الصحاف) ويسمى حمد الرشيد اتجه الاثنان الى

الشيخ ماجد حـاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضـد مير عجب، وعلى غفلة منهـما قام الشـيخ ماجد بالقـاء القبض عليهـما وارسـالهـما مخفورين الى هرمز برفقة الزعيم (علي المشدى).

لما بلغ السجناء هرمز اخبروا ملكها تورانشاه عن ماجرى في البحرين فابحـر معهمـا اليها وقابل هناك مـيرعجب والذي طلب من الملك تعـيينه حاكما عليها مقابل ماقام به تجاه الطاغية شنبه.

على عكس مـا توقع ميـرعجب قـام الملك توران شاه بعـزله عن حكم البحـرين فالتجأ الى (الدير) ولكـن قام رجال توران شاه بالقـبض عليه واحضاره الـى ملكهم والذي امر بقطع رأسه واطلاق سراح السـجينين (البهلوان والشيخ حمد الرشيد) وتوجه توران شاه بعد ذلك الى القطيف حيث لاقاه شيخها ماجد بكل حفاوة واحترام وبعد مضى عدة ايام هناك عاد الى البحرين ومنها الى هرمز مرة اخرى.

الى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا ماكتبه الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاما توفى بعدها في 779هـ الموافق 1378م. وتبعه في الحكم ابناؤه وكما يلي:

الاول مـسعـود وتلاه شـهاب الـدين وبعده سلغـرشـاه والذي حكم الجـزيرة والجزء من اليـابسـة المقابل لهـا ويقـال انه اراد في لحظة من لحظات عنفه ان يدفن البحر بين الجزيرة واليـابسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهـو الذي كان يغنى باعلى صـوته ضد الدولة الصـفوية قـائلا (قلب اعدائي يحـترق لانني رجل في ارض محاطه بالبـحر) ويعنى عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتـقال عن طريق البحر الى جزيرته ومع ان

الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة لكنها لم تغز جزيرة هرمز.

توفى سلغرشاه وبعده تولى (الشاه ويس) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الاخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو البوكيرك في 1507 ورغم الوجود البرتغالي بقيت العائلة الملكية تتولى السلطة في الجزيرة مع بقاء سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الاصليين فقط وحَدَّت السلطة البرتغالية من تنقلاتهم الى خارج الجزيرة دون اذن من قائد حامية هرمز البرتغالي. وبما انه لم يكتب احد من الملوك الذين حكموا بعد توران شاه اي شيء عن تاريخ هرمز وملوكها لذا اتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة.

تعقيب ورواية اخرى عن توران شاه:

يذكر عبدالرزاق «احد زوار هرمز» ان ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو في مقارنة الفترة الزمنية التى توفي فيها توران شاه بان الاولاد الاربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة ابناء ابنه فخر الدين وليسوا ابناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخر الدين ولكن نستطيع ان ندرك بانه في هذه الحالة خلفه ابناؤه بالترتيب الاتي: الاول مسعود والذي حكم الى ان توفى وبعده شهاب الدين (ونستطيع ان نؤكد في هذه الحالة بان نهاية عهد فخر الدين توران شاه تقع في الفترة القريبة من 1455م) وقد زار هرمز (جوسافا باربارو) من البندقية حيث يقول ان سيد البلاد يدعى سلطان شهاب الدين ويقول

ايضا ان هرمز تدفع الجزية الى الملك عاصم بك (حاكم فارس التركماني في تلك الفترة الزمنية) والذي توفى في 1478م ويبدو انه من التواريخ المقدمة من زيارة باربارو بان شهاب الدين قد حكم احدى عشرة سنة فقط 1465 ـ 1476م.

اما باروس (Barros) فهو يقول انه عندما توفى توران شاه الملك خلف بعده ماجد وشهاب الدين وسلفر وحافظ وان حكمهم استمر عشر سنوات للأول واحدى عشر للثاني والثالث سنة ونصف.

اما كوتو (Coutto) يقول ان توران شاه خلف اربعة اولاد مسعود شاه، شهاب الدين سلغر وشاهويس والذين تميز عهدهم بالارهاب ماعدا مسعود شاه، والذي حكم عشر سنوات وشهاب الدين وحكم احدى عشرة سنة، وشاويس وحكم سنة ونصف، أما سلغر فقد هرب الى الاحساء بعد ثورة اخيه عليه واستعان بملك الاحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة اخرى.

اما باروس فيقول ان سلغر كان حاكما لقليهات عندما استولى اخوه الاصغر على السلطة ولذا هرب سلغر الى الاحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة شاويس وسمل عينيه.

ملوك هرمز في الفترة البرتغالية :

رغم ان ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين اليها اصبحوا دمى في ايدي السلطة البرتغالية الا ان العائلة المالكة استطاعت ان تواصل

وجودها الاسـمي والذي يخلو من اية سلطة او حضور اداري واسـتمر الحال كذلك الى ان قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز 1622م.

ومع ذلك يذكر كـوتو مرة اخرى بان سيف الدين حكم عـشر سنوات تلاه اخـوه توران شاه والذي حكم تسع سـنوات ويبدو ان هذا التـغيـر حصل في عام 1515م حـيث يذكر كوريا (Correa) بان الملك في هرمز يسمى توران شـاه والذي كان يبلغ من العمر اثنتين وعـشرين سنة وان والدته كانت حـبشية وفي روايـة اخرى ان هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبـلغ الثالثة عشـرة من العمر يسـمى محمـد شاه ابن سيف الدين ويعتقـد ان ذلك كان في 1522م ويعكس كوتو ذلك قائلا ان توران شـاه جاء بعـد مـحمـد شـاه ابن سيـف الدين والذي حكم تسع سنوات فقـط ويبدو ان لسيف الـدين ولدان في عام 1515 احدهـما في التاسعة والثانى في الثانية وانه في عام 1532 نفي اخ الملك (وهو شاب يبلغ من العمر ثمـانية عشر عاما وكـان يدعى الرئيس علي) الى جوا في الهند لمحاولته دس السم الى الملك محمد شاه وبعـد وفاة محمد شاه قام قائد حاميه هرمز باختيار احد ابنائه(اي ابن محمد شاه) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام 1534 وقتل الطفل المذكور بالسم مرة اخرى نتـيجة مؤامرة من عـمه في جوا (الرئيس على) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جـوا الى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم تـرحيله مـرة اخـرى الى جوا في عـام 1541 نتـيجـة لجنونه وافراطه في شرب الخمر واعـيد مرة اخرى بعد سنتين ولكنه لم يبق طويلا في الحكم.

ويذكر كوتو انه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلغر شاه ابن توران شاه والذي ثم ترحيله سابقا بواسطة القائد البرتغالي الى جوا منعا لانشقاق وانقسام العائلة وابقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه والذي كانت والدته حبشية وتسمى (بيبي غزاله) وذلك لتشابه عيونها بعيون الغزال واعيد سلغر الى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفى في نوفمبر 1543 مسموما.

وتختلف الرواية مرة اخرى حيث يذكر كوريا انه بعد وفاة سلغر استلم السلطة ابنه توران شاه ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها Nuno de cunha كان قد نفى والد توران شاه وعمه (بابوشاه) الى جوا وان الاخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بأبن سمى فاروق شاه وانه بعد بلوغ بابوشاه التسعين من العمر قرر العودة الى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو ديسوزا D. pedro desousa والذي تم تعيينه قائدا لحامية هرمز في 1562 ويقول كوتو انه في عام 1563 توفى توران شاه وتبعه الرجل المسن بابوشاه والذي لم يستمر حكمه اكثر من سنة وحكم بعده ابنه فاروق شاه وتصف المراسلات البرتغالية انه نصب حاكم في احتفال كبير وتدل على انه اعطيت له الصلاحيات المعطاه سابقا للملك توران شاه في 18 مارس 1569.

ويبدو انه حكم مدة طويلة حيث توجد مراسلات برتغالية تذكر ان الملك العجوز يود ان يتنازل الى ابنه الثاني محمد شاه والذي كانت والدته اخت الوزير ولم يوافق نائب الملك في الهند على ذلك حيث نصح

فاروق شاه ان يعين ابـنه الاكبر فيروز شـاه وان يحاول تزويج ابنه هذا من ابنه الوزير ويبدو ان الملك فاروق شاه قد توفى في 1561 وتم تعيين مير فيروز شاه مكـانه وانه قد توفى في فبراير 1601 وعين مكانه اخوه محمد شاه.

ودخل الانجليز والفرس الى هرمز فى عـام 1622 وانتهى بذلك عهد البرتغـاليين فيهـا وكان اخر حاكم عليـها محـمد شاه وتم اعتـقال الملك وعائلته ونقلوا جـميعا الى فارس (اصفهـان) وبذلك انتهت مملكة هرمز الى الابد.

الفهرس

هناك حقب، أو بمعنى أصح، فجوات في تاريخ منطقة الجزيرة العربية والخليج، لا تزال معرفتنا قاصرة عنها، ليس لسبب عدم توفرها، ولكن لسبب عدم توفر الباحثين المهتمين بهاجس التاريخ، هاجس شخصي، هاجس يؤرقهم، للبحث في استكمال هذه الحقب، أو هذه الحلقات، أو هذه الفجوات في تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة مطبوعات الأيام التاريخية لتحاول كجهة نشر، تحمل هذا الهمّ التاريخي، ولتساهم بشكل متواضع في خلق توجه عام للاهتمام بهذا الاتجاه في النشر في منطقتنا، ولتخلق وعيا متجذرا لدى القارىء إزاء تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة كتب الموسوعة البرتغالية من ترجمة وإعداد د. عيسى أمين لتشكل محورا من هذه المحاور التي نريد أن نرسخها من خلال هذه الأعمال التاريخية، التي تحاول أن تقدم الى عشاق التاريخ، ومحبي المعرفة، جزءا من المعرفة، لم تكن غارقة في البحور مثلما غرقت كثير من السفن، ولكنها كانت غارقة في لغة أخرى، وفي خزائن معرفة أخرى.

وتأتي هذه السلسلة لتحاول نقل هذه الكنوز من المعرفة الى لغتنا، والى تاريخنا، والى رؤيانا المعاصرة لتلك المرحلة، والتي أوصلتنا الى ما وصلنا إليه في هذه النقطة الراهنة من تاريخ الخليج المعاصر.

الناشر

